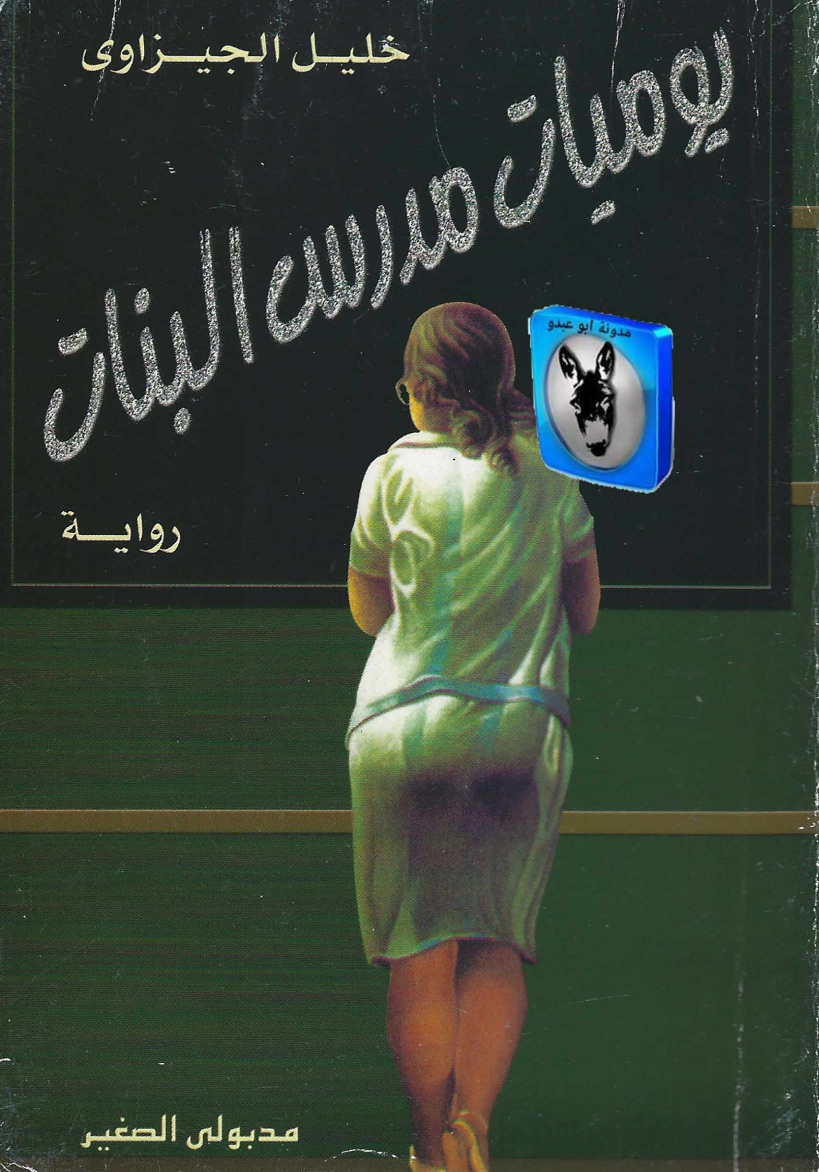

خليل الجيزاوى
يوميات مدرس البنات
مدونة أبو عبدو
رواية
مدبولى الصغير

يوميات مدرس البنات

خليل الجيزاوى

خليل الجيزاوى

يوميات مدرس البنات

جائزة أفضل رواية
لعام ١٩٩٩م

الناشر: مدبولى الصغير

الناشر: مدبولى الصغير

٤٥ شارع البطل أحمد عبد العزيز تليفون: ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٧٥٩٣ الترقيم الدولى: 977-286-102-1

تنويــــــه

أحـــداث هـذه الرواية وإن كـــانت تتماس مع الواقع وبعض الحـقيقة فإنها تحلق كثيراً بالخيال.

والأســـمـاء التـي وردت لا تخص أشـخاصـاً بأنفسـهم أو بمناصبـهم ولكنها مـقتضـيات البناء الروائي، وكذلك الأماكن.

الجيزاوى

إهـــداء..

إلى العظماء النبلاء

مشاعل العلم والنور

الشيخ عبدالحميد الجيزاوى ــ أبى

الشيخ على نوفل ــ صاحب كُتاب القرية

الأستاذ عبدالباسط الهجين ــ مدرس اللغة العربية بالابتدائية

الأستاذ السيد خاطر ــ مدرس اللغة العربية بالإعدادية

الأستاذ مأمون عبدالقادر ــ مدرس اللغة العربية بالثانوية

الدكتور عبدالقادر القط ــ آداب عين شمس

وكل الشرفاء ....

مفتتـــح

الفراشات حطت على كتفيّ

ومالت عليّ السنابل

والطير حطت على راحتيّ

وإخوتى لا يحبوننى

يمتدون عليّ ويرموننى بالحصى والكلام

يريدوننى أن أموت لكى يمدحونى

فماذا فعلت يا أبى؟

هم أوقعونى فى الجب

واتهموا الذئب

والذئب أرحم من إخوتى!

(محمود درويش)

1

يوميات مدرسة البنات

يوم جميل

صورة

هل أنا كنت طفلا

أم أن الذى كان طفلا سواى؟

هذه الصورة العائلية

كان أبى جالسا، وأنا واقف.. تتدلى يداى

رفسة من فرس!

تركت فى جبينى شجاً، وعلّمت القلب أن يحترس

(أمل دنقل)

تستيقظ مبكراً، تطوّح يديك فى الهواء فى نصف دائرة،

تنفض عن كاهلك تعب الوحدة، يفاجئك التثاؤب، تحرك رقبتك يمينا، يساراً، تطرد النعاس العالق بعينيك، تخلع بيجامتك وتقف مدهوشاً تحت دش الماء البارد، ومع رذاذ قطرات الماء، تستعيد أحلام الليلة الفائتة، وكوابيسها المزعجة، تستعيذ بالله، تبسمل وتحوقل، حين تدخل فى ملابس الخروج، تراجع للمرة الثالثة حافظة النقود، كارنيه المترو، هويتك الشخصية، سلسلة المفاتيح، دفتر تحضير الدروس، ثم تهرول لاهثا كى تلحق بطابور الصباح ودون فطور.

تصل شارع المدارس، تشيعك نظرات، همسات البنات، تبتسم لهذه، تومىء لتلك، تهز رأسك للجالسة فوق سيارة الرصيف، تجرى خلفك طالبات الاذاعة المدرسية، فى الطريق إلى حجرة الإذاعة، لابد أن تقابل مشرف اليوم بعصاه الطويلة وقلقه الواضح، وهو يراقب ساعة يده كل دقيقة، يراوده الشك، يسألك: الساعة كام!

تسلم عليه وتصافحه، تنحنى يمينا فى الردهة الرئيسية، تطالعك أشجار الفيكس بخضرتها الزاهية، زهرات الأصص، لبلاب ست الحسن، وهن يقفن على باب المديرة للحراسة، تدخل خطوة ثم ترفع يدك قائلا: صباح الخير يا أفندم!

بسرعة تراجع لذات الخمار آيات الصباح، وتذكرها للمرة الأخيرة بضرورة ضبط التشكيل، الحديث الشريف وحكمة اليوم، تراوغك ذات العيون الخضراء، حين تقرأ لها أخبار الصباح قائلة: من فضلك...، ممكن أشوف حظى النهاردة!

تأخذ نفساً عميقا، وأنت تلقى بنفسك على أقرب مقعد، وتحمد الله لأن الحصة الأولى خالية من جدولك المدرسى، تنادى متوسلا:

ـ كمال، يا كمال، هات رغيف طعمية وكوب شاى، دماغى هايطير!

تراجع درس اليوم، تقلب دفترك، الكتاب المدرسى، تراجع للمرة الثالثة دفترك، تتأكد من كتابة التاريخ الهجرى والميلادى، الفصل والحصة، حتى تتفادى همسات المشرف، تعليقات المفتش، ياه الحصة الثانية والثالثة فصل واحد، أوف وكمان ٣/٢، اللعنة على المدرسة والبنات والتعليم، دول مش بنات داحنا فى سيرك، مرقص، تحدث نفسك وأنت تلم حاجياتك بعد سماع الجرس، تهرول إليك ذات العيون الخضراء.

ـ .. حضرتك علينا، تتشاغل عنها عمدا، تقترب منك، تلفحك بأنفاسها الحارة وعطرها الأخاذ والذى يدير

الرءوس، تقترب منك أكثر، تتكىء على مكتبك، تثبت عينيها الخضراوين عليك قائلة:

- .. حضرتك على ٣/١٣!

- حاضر، حاضر! عارف، اتفضلى خُدى الشنطة!

- الشنطة بس.. تمتم بكلام هامس ثم تضحك وتجرى، تسمعها تقول: .... يارب. تنهض، ترسم ملامحك بملامات الجدة، تقطب جبينك، تزم شفتيك، تدخل الفصل،، تترامى إلى سمعك همسات البنات.

- أهو جالك ياختى بأخبار الحب والشعر!

- آووه تقله هايجننى!

- أنا عارفه طالع فيها على إيه!

تتفقد صفوف الطالبات، مقطبا، حين يكتمل وقوف البنات، يرنو الصمت واضحا، تشير للطالبة القريبة من الباب، تفهم، تحكم إغلاق باب الفصل!

- السلام عليكم....

تكتب على السبورة درس اليوم «أدب المدرسة الرمانسية»

- آه من الأدب آه: قالت ذات البثور ولكزت زميلتها، تنظر إليها، تبتلع ضحكتها وتدفس وجهها فى كراستها ثم تكتب وراءك، تبدأ فى شرح الدرس، يقول إبراهيم ناجى يا بنات:

رفرف القلب بجنبى كالذبيح.. وأنا أهتف يا قلب اتئد

تقوم ذات العيون الخضراء: ......، ما معنى اتئد؟

تجيب: اتئد معناها تمهل

تقول ذات البثور دون استئذان: يا فالحة يعنى اتقلى عليه شويه!

تسرى الضحكات والهمسات بين البنات، أمام جدك الملحوظ وتكشيرة ملامحك، تكتم البنات همساتهن، تسأل ذات العيون الخضراء: تتمهل ازاى.. وهو لاحس مخها وبيتقل عليها، تنظر إليها، تتوه فى بحر عينيها، وشعرها الطويل الحريرى، ببريق الذهب الحر، الذى يعبث به النسيم، خصلتها العنيدة الشقية، التى تتدلى على الحاجب والعين ونصف الخد، ترى بشرتها ناصعة البياض، مشربة بالحمرة الخفيفة، تلاحظ العينين الجريئتين، ذات الرموش الطويلة وهلال الحاجب يحوطهما كحارس أمين، تظل لحظة تشاهدها، تتابعها وكأنك تراها للمرة الأولى، ألم تلاحظ هذا الجمال الآسر؟

تهز راسك وتفرك عينيك، كأنك تحاول أن تعود بعد سباحة طويلة فى ذات العيون الخضراء، التى توقظ فى قلبك، ذلك الشعور الراقد فى أعماق كل رجل.

ترى أن الأمر جد خطير، فذات العيون الخضراء باتت

ترهقك بالليل والنهار، توجع ذاكرتك المجهدة، تفر من قيظ لياليك، وغرفتك الباردة من همسات الليل وغزوات الاشتهاء، تفرك عينيك، تزيح صورة إيمان وتظل تلوك مرارة الذكرى، مغروسا تقف فى ذاكرة البنات، تحمل على أكتافك سنوات العمر التى ترحل دوما ودون استئذان، خمسة وثلاثون عاما مرت ولياليك باردة مثل مياه الشتاء، شقتك الجديدة تبتلع كل مدخراتك، المقاول يماطلك فى التسليم حتى تعطيه آخر جنيه معك، قيظ ذكرى إيمان، مايزال يؤلمك، تنفرط عهود كما مع القادم من بلاد النفط، مائة وخمسون.... كاملة النضج، تلفحك أنفاسهن، تختنق، تضيق بهن، تشخط، تزعق فيهن نهاراً ثم تشتاق لواحدة تزورك ليلا، ولو فى الأحلام تهدهد شوقك الثائر، رغبتك الكامنة فى لمس أنثى، فى حضن دافىء، يروض خفقات الضلوع، تواصل الشرح، يقول إبراهيم ناجى:

سألتك يا صخرة الملتقى.. متى يجمع الدهر ما فرقا

تقف ذات العيون الخضراء مندفعة تقول وبغير حذر:

- والله ...... هو اللى قلبه صخرة حديد!

تعلو ضحكات البنات، همساتهن، تزغر لهن وتواصل شارحا:

«وهذه ظاهرة قديمة فكل شاعر له حبيبة، يناجيها،

ينشدها ويخصها بشعره»، تندفع ذات العيون الخضراء قائلة:

. عرفنا عنترة بيحب عبلة، وكُثّير بيحب عزة، والأستاذ جميل بيحب مين؟

آه يا جميل، إن البنت الملعونة، تضغط على جراحك، تدميها، تزيدها آلاما، وهى لا تعرف أنك تهرب منها، من عينيها الخضراوين، من عطرها الأخاذ الذى يلف رأسك ساعات طويلة، إنك تهرب من حصارها، مطاردتها لك، وهى تملك أسلحة أنثوية، تثير أشجع الرجال تقف ذات البثور قائلة فى جرأة واضحة:

. والله احنا.. مظلومين، وبعدين تجيبوا الحق علينا، واحده صاحبتى صحيت من النوم لقيت... بيلعب فى صدرها، وبيفك سوستة بنطلونها!

وحين قرأت الدهشة تشكل ملامحك أجابت بتأكيد:

. والله العظيم.... والحمد لله إنها كانت نايمة بالبنطلون!

ترتعد مفاصلك، يتغير لون وجهك، تأخذك الدهشة، تتراجع من صفوف البنات، يغرق جبينك بحبات العرق، ينعقد لسانك، فلم تفتح فمك بكلمة، تقف غارقا فى دهشتك، لا ينقذك إلا جرس الفسحة، تهرول إلى الردهة تفتح صدرك للهواء النقى، وتغمض عينيك حتى لا ترى

الطالبات، بينما يكركب قولونك العصبى بصوت مفضوح، وتلعب روحك وتشعر بالقىء.

فى حديقة المدرسة، تجلس وحيداً، تسعى إليك ذات العيون الخضراء، تسبقها ابتسامتها الآسرة، تحمل إليك قهوتك المضبوطة وكوبا من الماء المثلج قائلة:

- اتفضل ..... ! عارفه إنك تعبت قوى!

- متعجبا تقول: ..... والله، أنتم محتاجين أستاذ حديد!

- لو سمحت ..... أنا مش فاهمة فى المجموعة بتاعتى!

- تنظر إليك متوسلة قائلة: لو سمحت أنا عاوزه آخذ فى البيت لوحدى!

- يا نجوى إنت عارفة المواعيد كثيرة وما فيش وقت!

- ماليش دعوة، وكمان ماما قالت: ما تخديش دروسك عند حد!

- وعاوزه أشوف أنا غالية عندك أد إيه!

تود أن تقول، تعترف، لكن القوانين تحاصرك، التعليمات صريحة تقول:

- «دائما حافظ على قدر ما بينك وبين البنات»، «البنات بتحاسبك على كل نظرة وكل ضحكة»

- «وزع ابتساماتك بالتساوى، لا تميز واحدة عن الأخرى».

نعم تحتاج إلى قلب يحتويك، تحكى له، يحمل عنك متاعبك، إن الإنسان يتخلص من نصف متاعبه، حين يفضى بها للآخر الذى يحبه.

نعم بداخلك قلب يحترق شوقا إلى أنثى، تدغدغ مشاعرك، تلمس أناملك، تحتويك تتلقى فيض مائك، وأمامك مئات البنات، لكن أخلاقك، القوانين، التعليمات.

ترتشف فنجان قهوتك والتى لم تطلبها، لكنها تفهمك جيداً، هى أقرب بنت إلى عقلك، قلبك، تعجبك كثيرا بجمالها الواضح، تفزعك أحيانا باندفاعها دون حذر. فى الطريق إلى باب الخروج، كانت الطالبات يتهامسن، يتغامزن، ينظرن إليك بعيون تملؤها الدهشة، تطولك نظرات نارية ملتهبة، تحلق بعيداً، دون أن تقترب، تلهبك ذات البثور بأسواطها المالحة، ترهقك ذات الخصلة الشقية بنظراتها الثاقبة.

فى البيت تحاصرك الجارة البدينة وهى تلح عليك أن تغسل لك حاجياتك، أو تنشرها لك، تتعمد الصعود إلى السطوح حيث غرفتك الوحيدة، لتنشر غسيلها، لتحدث معك حديثا موجعا، تلهبك بلسانها السوطى، تسألك:

- لماذا لم تتزوج؟ بتعمل إيه فى ليل الشتاء الطويل، قلبى عليك يا أستاذ؟

هل تخبرها أنك تلعن كل النساء؟ عندما أخذت تغمز لك، تهمس، وهى تقف على باب الغرفة، وحين يئست منك، أشاحت بيدها: يا خويا على مهلك شوية، كلنا ولاد تسعة.

فى الشارع إلى ذات العيون الخضراء مساء تشاهد الجموع المتزاحمة أمام سينما فاتن حمامة، تدقق النظر، تشاهدهم اثنين، اثنين، بكرنفال الأزياء، بدا لك أن كل واحدة قد أخذت دش برفان قبل حضورها، قوست هلال حاجبها، اختارت ما يكشف ويثير، لم تنس القَصّة التى تغازل العينين والحاجبين.

على طول شارع الملك الصالح، يجلس الأحبة على شاطىء النيل، الظهر يمتص لهيب الظهر، أو يجلس بجانبها وقد تشابكت الأيدى، تماست السيقان الملتهبة، أو ذلك الذى يعبث بخصلات شعرها ويلامس أذنها ورقبتها، أو يمرر بطن يده على ظهرها ثم بخفة يلامس نهدها فتنفر منه، تضربه بدلال على ظهره، أو ذلك الذى استلم أذنها وأخذ يبث لها بكلام.... وبيده يلامس يدها وساقها، حتى إذا تجاوز الحد المسموح تدفعه قائلة:

- هيه وبعدين.. احنا قلنا إيه.

تتذكر الأغنية القديمة، تلح عليك، توجعك كلماتها:

«كل الأحبة اثنين، اثنين ، وانت يا قلبى حبيبك فين»

تنحنى يميناً إلى شارع المماليك، حيث العمارات متراصة، أنيقة تتزين مداخلها بأحواض الزرع اليانعة، رائحة الياسمين تستقبلك، ترحب بك، تملأ صدرك، تنظر إلى البلكونة، تجد ذات العيون الخضراء، مبتسمة، تشير بيدها وملامحها ترحب بك، دقيقة وتجدها تضحك خلف زجاج الأسانسير، تفتحه من الداخل قائلة: اتفضل.....

- الأسانسير بتاعنا، بنقفله، علشان الخدامين ميطلعوش فيه!

- تسبقك تفتح بمفتاحها، تحك حذاءك الجديد على منفضة الباب مرات ومرات، تجذب يديك باسمة: اتفضل! تدخل الصالة، يستقبلك النسيم الرطب، تقفل هى الشقة، تجلس فى الصالون، تلمحها آتية، تدفع عربة صغيرة أمامها عليها معلبات كثيرة، وطبق تفاح كبير، اتفضل: .... تشرب الأول وبعدين تأكل التفاح!

غابت قليلاً، ثم أعلن البرفان قدومها، قالت بثبات وهى تخلع الروب، خُد راحتك.. تجلس أمامك، نظرة واحدة إليها وجف ريقك، انعقد لسانك، بدا لك أن الجو حار، رغم النسيم الرطب، تشعر بحبات العرق، تغزو جبينك، وتتفلت أسفل أذنيك:

- اشرب..... لأ أنا أسقيك بإيدى!

تجلس بجانبك، تلتهب فرائصك، ترتعش أوصالك، نظرة ثانيـة لليـمـين وثالثة للشـمـال، قـالت والابتـسـامـة تشكل ملامحها: اطمئن، بابا وماما عند أختى فى مصر الجديدة.

تلمس هى خدك، جبينك، تنشف حبات العرق، تقول لك هامسة: أنا عاوزة أعمق علاقتنا!

- نعم!

- أجابت باندفاع، أعمق عـلاقتنا يعنى كده وتقبلك برفق على خدك، قبلة خاطفة!

- لو سـمـحت! من فـضلك! اقـعـدى هنا، ثم تشـيـر إلى الكرسى المقابل!

- يا جيمى أنا بحبك!

تقول باستغراب: بـ .... بـ ....

بســرعــة تدخل فى نوبة بكاء عنيـفــة ويبــدأ ســيل الاعترافات ....

- صدقنى يا أستاذ، أنا مش عـارفة أنام، أنا مـحتـاجة لك قوى، مـحتـاجة تأخذنى فى حضنك، أنا طول الوقت لوحدى وانت ولا حاسس بوجودى، رغم أننى عارفه إنك بتحبنى!

- يا نجوى أنا لا أنكر إننى معجب بك، لكن هذا لا يبـرر الخطأ!

ـ بقولك أنا محتاجة لك قوى، افهمنى وأجهشت مرة أخرى بالبكاء!

تقترب منها، تجدها ترتعش، وشفتاها تناديك، ويداها مفتوحتان لك، والتفاصيل الأنثوية تدعوك، شهية، ناضجة، ملساء، ناصعة البياض، والشعر الحرير الذى طالما حلمت به يدعوك أن تهدهده، والنهدان النافران من قميص النوم الوردى، يدعوانك لاحتواء ثورتها العارمة، تخاطب فيك ثورة الرجولة الراقدة منذ سنوات والتى تفور فى أحلامك الليلية، تتذكر إيمان ووعودها الكاذبة، كل النساء.........

تقترب من لفح خديها، تلمس جسمها، تلسعك نيرانها، تنظر إليك، وشفتاها ترتعشان، عيونها الخضراء تتوسل إليك، تدعوك إلى قطف الثمار الناضجة، القوانين تحاصرك، تتذكر التعليمات، يصل إليك صوت المديرة:

ـ لا تقترب، لا تلمس، لا.. ، لا .... ، تتذكر الله، ضميرك، أخلاقك، الوظيفة...

بحذر تضع يدك على شعرها قائلا:

ـ قُومى يا نجوى وبعدين خُدى ميعاد من بابا علشان اقابله!

ـ بابا إيه وليه؟

ـ علشان.. أخطبك!

ـ ياعم خطوبة إيه وزواج إيه، بقولك محتاجة لك وعاوزه أعمق علاقتى بك، تقولى بابا وماما!

ـ يا عم افهم، يا جميل أنا محتاجة لك، افهمنى، خذنى فى حضنك، كسيرة تنظر إليك بالعينين الخضراوين، وكان باب غرفة النوم موارباً!

ـ أنا أسف، مقدرش أعمل كده، أسف، أنا أسف!

ـ أسف طيب وأنا كمان أسفة، اتفضل ......

تأخذك الدهشة، تفتح فمك أوسع من باب شقتها، والتى فتحته بقميص نومها،، تتسلل خارجاً، وكانت هى ما تزال تردد بصوت نصفه بكاء:

ـ وأنا كمان أسفه اتفضل ....

تميد بك الأرض، تنزل درجات السلم، تسقط حبات العرق، تلفحك الأنفاس الساخنة، يعلو صدرك ويهبط، تزداد ثورتك، يشتعل غضبك، الرائحة العطنة من منور السلم تزيدك اختناقا، تدور رأسك، ترتعش أطرافك وثمة غوامض مطمورة تحترق داخلك، يمور صدرك بنيرانها، تخرج أنفاسك، تفور بلظاها المتقد، ثقيلة رأسك، مهدوداً تجر قدميك، كحصان عجوز هدّه شقاء العمر الطويل، تبتل عيناك بالدموع، يختل توازنك، تفر قدمك، تسقط، يستقبلك الحائط الخرسانى، تتكوم مع انحناءة السلم، تتحسس

رأسك، الدم يسيل، تنفض رأسك، تضغط عليها بكلتا يديك، تتلفت حواليك، تعى نفسك، تنهض متعبا ومتألما، وتواصل النزول.. ترى هل كنت تحتاج إليها، كى تنتبه وتفيق؟

فى الشارع، تستسلم للهواء الطرى، تملأ به خياشيمك، صدرك، تغمض عينيك، وتترك قدميك لجذب السير على كورنيش النيل بلا هدى.

فى الفراغ الليلى، تهاجمك الذكريات، يطير النوم من عينيك، تتقلب فى فراشك صموتا وكابيا، تلعن داخلك الظروف القاسية، طلبات المقاول صاحب العمارة والتى لا تنتهى، الطلبات الضرورية، تلك التى تجبرك على طرق الأبواب المغلقة واللف وراء الدروس.

هل تذوقت للنوم طعما.. أم كان الأرق رفيقك طوال الليل؟

فى الصباح المدرسى، تبدو صامتا وحزينا، تقف مزروعا فى أحداث ليلة الأمس ما تزال،تراجع الاذاعة المدرسية، تدفن وجهك فى الجريدة الصباحية، تتفادى نظرات البنات، تسألك ولاء:

- ألف سلامة يا أستاذ!

تتحسس رأسك وتبحث عنها بين الطالبات:

- الله يسلمك.. حاجة بسيطة

تستعد للحصة الثانية، بعد الفطار والشاى، تقلب كتابك، دفترك وتهمس:

- اللعنة، الدرس ده مش عاوز يخلص ليه؟في الردهة الطويلة إلى فصل ٣/٣، تستعيد هدوءك، ترسم الابتسامة على ملامحك يسبقك الحزم، تسلم على الطالبات وتكتب:

فيا صخرة جمعت مهجتين أفاء إلى حسنها المنتقى

تندفع ذات الخصلة:

- يا أستاذ تجمع الأرواح ازاى؟!

- هيه الأرواح متبعثرة، ولا متقطعة!

تجيب بحزم:

- جمعت هنا بمعنى شهدت اللقاء

تندفع ذات البثور:

- تلاقيها بتقوله: قطعنى يا معلم!

تسرى الضحكات العالية والصاخبة، تجلس ذات الخصلة وهى تقول ضاحكة:

- لأ، تلاقيها بتقوله:

- قطعنى حتت، وارمينى للقطط!

تعلو الضحكات، صوتك يضيع بين جنبات الفصل الضاحكة، تشرح،والتعليقات لا تتوقف والهمسات تنمو بين

البنات كشجرة لبلاب وتتحسر على ما أصاب التعليم.

ترى من المسئول عن سطحية ثقافة هذا الجيل؟

هل التليفزيون والقنوات الفضائية؟

أم أنه عصر لاهث؟

لم تعد القراءة تستهوى الأجيال الشابة، يلهثون وراء أخبار الرياضة وفضائح النجوم وأغانى الشباب الصاخبة والماجنة.

تسأل عن العقاد وتجيب الطالبة:

- مين العقاد؟ اللى كان بيشتغل منجد.

ولا يعرفن طه حسين ولا توفيق الحكيم، تسألهن عن نجيب محفوظ، تجيب ذات البثور:

- أيوه مش اللى بيكتب أفلام ومسلسلات للتليفزيون!

فهل تحولت ثقافة هذا الجيل إلى ثقافة الفيشار؟ تشرح لمن؟ وتربى من؟ وهن جيل لا ينتمين لأحد.

تغضب من أفعال نجوى، وهناك ألف نجوى، يفعلن ما يحلو لهن، فى غيبة الأب وانشغال الأم، وتشجيع بعض المدرسين ذوى الذمم الخربة.

تعود إلى درسك، بعد هذه السباحة القصيرة، تكمل شارحا!

ـ هكذا شهدت صخرة الملتقى لقاء الحبيبين بالروح، يقول ابراهيم ناجى:

قرأنا عليك كتاب الحياة .... وفض الهوى سرها المغلقا

تقول ذات الخصلة ضاحكة،تردد مقطعا لأغنية شعبية:

ـ كتاب حياتى يا عين، ما شفت زيه كتاب، الفرح فيه سطرين والباقى كله عذاب.

تعلو الضحكات، تقف شاردا ومفكرا، تسأل نفسك: ترى ماذا تفعل؟

ـ تضرب البنات؟

ـ وهل نسيت تعليمات السيد .... الضرب ممنوع، وحمل العصا ممنوع، والواجبات ممنوعة، وعقاب الطالبات بالوقوف ممنوع، والطرد من الفصل ممنوع و..........

هذا السيد استطاع أن يفعل بالتعليم مالم يفعله الإنجليز!

ـ مطلوب منك أن تكمل رسالة الأنبياء، وتتصف بأخلاقهم فى مجتمع تفوح منه رائحة الفساد والعطن.

ـ مطلوب منك أن تتحلى بخصال الملائكة فى بيئة تعربد فيها السفلة والشياطين.

تبتسم ساخرا وتكمل بعد ضحكات البنات:

- وفض الهوى سرها المغلقا.

تقول ذات البثور مندفعة:

- لأ يا أستاذ دي وحشة قوى، الشاعر ده قليل الأدب

سريعاً تجيب:

- فض هنا بمعنى كشف وأعلن.

- والشاعر يقول «كشف العشق الكثير من أسرار هذه الحياة»

تلمح بطرف عينيك ذات الخصلة وهى تهز رأسها، ترفض الشرح، وتقول لذات البثور هامسة أو بصوت خافت تكاد تسمعه:

- الشاعر يقصد «فتح الحب سرها المقفول - يعنى فض غشاء البـ......»

ترى ماذا حدث للبنات..؟ وما أسباب هذه الجرأة الزائدة؟ وأين حياء البنات؟

تكمل شرح الدرس ساخطا وغاضبا، وهمسات البنات تنمو جبالا عالية، تأخذ شهيقا طويلا، تفتح الباب، بعد سماع جرس نهاية الحصة، تهرول إلى حديقة المدرسة مختنقا، بحديث البنات، متعبا تجلس، تلحقك دعاء بفنجان القهوة المضبوط قائلة:

- يا أستاذ كبّر دماغك، البنات عاوزه تضحك، تروّش!

تنظر إلى دعاء، تتأمل بياضها، وشعرها الطويل، يعجبك ذكاؤها المشتعل، تحلق بعيدا وسط السهول الخضراء، تتذكر رحلتك الشهرية للبلد والناس الطيبين، تبتسم لعيون دعاء، وتسافر فيهما، تحدق بقوة تخوض بحر عينيها، صافية العينين مثل السموات العلى،رائقة الحسن كماء جدول رقراق، صامتة تنظر إليك كبحر عميق يمتلىء بالأسرار، يحتاج إلى مهارة غواص لكشف اللؤلؤ والأصداف.

ترى ماذا تخفى عينا دعاء؟

ولماذا كلما نظرت إليها تتذكر ماجدة؟

آه يا قلبى الجريح، دوما تنزف، كثيرة هزائمك يا قلبى الكليم، كثيرة انكساراتك، جراحك، أناتك، وما تزال تعاند، تكابر، تتمنى أن تمسك النجوم كل النجوم، تتوق أن تلمس هذا الحلم المستحيل.

تنام البارحة والجراح تنزف من أفعال نجوى الطائشة والمجنونة وهى تلعب بك، تتغيب اليوم عن المدرسة، وكأنها تقول لك إنها ليست فى حاجة إليك ولا مدرستك هل تسأل عنها؟

تندمج سريعا مع دعاء، تحلق معها، تطير بين المروج الخضراء، السهول الواسعة، وتنسى عزمك وعهدك مع نفسك أنت فى حاجة شديدة إلى فرملة، يجب عليك أن

تصد البنات.

لكن ماذا تفعل؟ وأنت تفيض بالمشاعر الرقيقة، والأحاسيس النبيلة، تغرد كعصفور الماء، يطير فرحا على وجه الماء الصافى، يضرب بجناحيه الماء، لاهيا وسعيداً تأنس بهن، تعود إليك روحك، ذاتك، حين تبادلك، دعاء أو نجوى بعض المشاعر والنظرات الحانية.

فهل ترتشف منهن الدواء؟ وتتلمس معهن العلاج من الداء العليل الذى يهاجمك ليلا، يفترسك وحيداً.

وهل لهذا الكمد من آخر؟

تعشق الوحدة، تنشدها وسط الناس، وأصبحت جلستك فى الحديقة وبين الأزهار، علامة لك.

ترى هل أدمنت الحديث لأزهار الحديقة، أم تنشد السلوى بأزهار المدرسة؟

تنشد نجوى وسريعا تنفلت إلى دعاء وتحلق مع ولاء وتطير مع رانيا وتتخيل ماجدة وتتذكر إيمان.

فيا أيها الطائر، حلق رويداً، رويداً، تخير زهرتك، وانشدها وتوجها ملكة على عرش الدنيا ثم اقسم بين يديها بيمين الولاء وكن بارا به!

لكنك يا طائر العشق، قلق وعنيد، أعرفك منذ سنوات بعيدة تذكرها، تقرأ للصباح نشيد المساء الحزين، وحدة،

كمد، كبد، جرح، نزف، تضرب بكفيك، الهواء، الذكريات الجراح الدامية وتصرخ:

ـ أين ومتى الخلاص؟

تنظر للأفق البعيد، تناجى طيفك المستحيل وتبكى مع جبران:

هو ذا الفجر فقومى ننصرف
عن ديار ما لنا فيها صديق
ما عسى يرجو نبات يختلف
زهره عن كل ورد شقيق

2

يوميات مدرسة البنات

يوم ماجدة

"وها أنا خلف النوافذ الزجاجية

أترقب عند الغروب الشاحب

طائرى الغائب"

(أمل دنقل)

أيتها الماجدة..

أكتب إليك قد تستطيع كلماتى أن تنقل إليك خفقات القلب، الذى يفيض شوقا إليك، يا كل أملى فى هذه الحياة، بى الشوق، يمزق الأسوار، يفتت الحواجز، يلغى القيود التى تحاولين أنت صنعها، وثقى تماما أنك مهمها تحاولين، لن تستطيعى ابعادى عنك، بكافة الطرق أو بمختلف الوسائل.

أيتها الماجدة:

بى الشوق إليك أصبح أملا أحيا به، أعيش عليه..

هواء أتنفسه، طيفك يلازمنى، يؤانسنى، يحيا معى، هواء يمتزج بكل ذرة فى كيانى يسير فى دمى يختلط به، أحبك، وحبك شهيق يعطينى زاد الحياة، يمنحنى الأمل فى الغد رغم عنادك، رغم ترددك، رغم حيرتى معك..

أيتها الماجدة:

يا بلقيس عرشى ومملكتى، كونى كما تشائين، كونى الملكة التى تملك حياتى بلا منازع، فريدة فى حنانها، فى رقتها، بلقيس قامت لتخلع تاج مملكتها، لترفعك أنت فوق عرش الدنيا كلها، بلقيس الجميلة عادت لتتوجك ملكة هذا الزمان، وكل زمان.

يا بلقيس قلبى وكل أملى، إننى فى احتياج إليك دوما.. فى أشد لحظات الاحتياج لحبك وقلبك، وعطفك الفياض

وحنانك الذى آمل أن يظللنى ويحميني من قيظ الوحدة وقسوة الحياة.

لماذا أشعر بترددك، بخوفك، بقلقك، بحيرتك الكبيرة معى؟ أنا معك، بجوارك، قريب جداً منك فلماذا الخوف؟

أيتها الماجدة:

ليال طويلة، ظللت أقلب فى كل الصفحات، أعيد ترتيب الأوراق، أضع كل الاحتمالات، أواجه كل الظروف التى تحيط بنا، لكنى لم أجد إلا صورتك الجميلة تزين كل الصفحات، طالعت حيرة عينيك الجميلتين، خوفك وترددك معى: لماذا كل هذا التردد وهذا التفكير؟

أيتها الماجدة:

صدقينى بأيامى التى أصبحت لها معنى معك، بعمرى الذى ولد معك، بقلبى المجروح الذى ارتشف الدواء منك بعد حكاية إيمان!!

نعم أتذكر وقفتك إلى جوارى، تضميدك لجراحى.. تشجيعك لى:

- قف شامخا على قدميك، هل الدنيا كلها إيمان فقط؟

- يا صديقى إن عودنا يقوى بكثرة الصدمات التى تعترض حياتنا..

أيتها الماجدة:

من أجلك، أقبلت على الدنيا مرة ثانية، معك أصبحت للحياة معنى وطعم، دعينى أحلم بالغد معك، حلما جميلا، وأملا كبيرا، فقبلك كانت حياتى قفراً، باهتة، شاحبة، كانت مثل الساقية التى أدور فيها معصوب العينين، مدفوع أن أواصل السير فيها، فمشيت، قدر مكتوب كمثل عذابه، فشربته مرا!

أيتهاالماجدة:

«إن الحب العظيم هو بقدر ما تعطى لا بقدر ما تأخذ فقط»

ومازلت وفيا لعهدى معك، مخلصا وفيا له..

لنقول إنه فى زمن الخداع والنفاق، الذى شاعت فيه الرذيلة باسم الحب، ولدت قصة حب، حروفها نور، وصفحاتها طهروعفاف، زهرة برية ولدت بين أشواك مسنونة، لكنه نذر حياته فداء لها، احتضنها قلب يمتلىء بالحب، وضمهاإليه ليضربا معا أعظم مثل، وأجل قصة وفاء.. ملحمة عشق خالدة تدوم للأبد..

أيتها الماجدة:

عرفت فيك التضحية والفداء، فلماذا تؤثرين الصمت معى؟

أنت طبيبى ودوائى فهل تبخلين علىّ بالدواء؟

أيتها الماجدة:

منذ عرفتك، نذرت حياتى إليك، فداء لك، لأنى لم اتصور حياتى بدونك، أنت نور عينى الذى أحيا به، وهدفى الذى أقاتل من أجله، وأكافح للفوز به..

إن من نظف الجرح النازف عليه الآن تضميد الجراح.. ومن وضع بذرة عليه رعايتها فى مراحل النماء، فهل تفهمين؟ كونى رقيقة بى، فالقلب يئن بالجراح وكفاك ماتصنعين بى!

أيتها الماجدة:

بالأمس كنت أكتب، أنثر أشواقى رسائل إليك، علها تذيب الجليد الذى ينمو بيننا، أقول:

(١)

أبحر فى عينيك

أبحث عنى وعنك

أتصفح كل وجوه الناس

أدفع هذا ويدفعنى الشوق إليك

أواصل بحثى بلا استئذان علىّ أواجه نفسى فيك

ضفة تعكس فينا صوت الآه..

لكنى مدفوع عكس الريح

يقترب الخوف لكنى أواصل

قدماى تعاند لكنى أحاول

وتضيع الشمس بعيداً خلف سحابك

تهرب منى كى أرجع عنك

لكنى أواصل بحثى مساء

يلسعنى البرد، يدفعنى الشوق

أقاوم جسدى المتعب

أجتاز حدود الوهم وأمضى

يستوقفنى جنود الحاكم

أبرز لهم هويتى عشقى يغمز هذا، ويلمز ذاك ويقول الجالس:

يا ولدى تعال: العشق جنون!

أعاند، أبعد وجهى عنهم

أمضى إليك لأبحث عنك!

ومدينة عشقى بلا جدران

لا أعرف ماذا وراء الغيم؟

أبحث عنك بين العشاق

والنيل يحتضن همس الأشواق
لكنى وحيد، يلسعنى الشوق
أجلس وأناجى النيل وأشهده بعدك عنى
وأشتكى صمتك معى وعذابى فيك
هل أمسيت لديك بلا عنوان؟

(٢)

أشتاق إليك
أشتاق إلى ضمة منك
إلى ابتسامة تشرق من عينيك
وتثمر على شفتيك
أشتاق إليك لأعانق شيئا فى عينيك
كلاما وحدى أفهمه وأقدس لغته
فهل تدركين؟
أشتاق حين يطوينى اليوم خلف اليوم
حتى يجىء اليوم الموعود
أشكو إليك الشوق المكتوب بلغة العين
أشتاق إليك، إلى وحى عينيك
ليأخذ منه القلب مداد الرؤية

كى أحميه من وهج الأيام الصدئة..

وأشتاق إليك إلى ابتسامة تشرق من عينيك

تغنينى عن زيف الدنيا

وأشتاق إليك، إلى القرب منك، إلى الحديث إليك..

وترتشف شفتى الشوق المكتوب

برعشة شفتيك

ولمسة يديك ولغة عينيك..

كى يأخذ قلبى زاد الاسبوع!

(٢)

هذا قلبى، فضمى إليك النبت الأوحد

واسقه، واحمه

هذا قلبى، فضمنى إليك

كى ينبت فينا الغصن الوردى

حتى ينمو فينا نخيلا

يشتد عوده

فيقاوم عصف الريح

يمتد ظلالا بعمق الشوق

يحمينا من كيد الناس.

واسقه قبل أن يدركنا زمان التيه

واسقه فيض حنين العين

واحمه بسياج الصدر

مدى كأسك واسقه

فتانا لم يطلب شيئا

كفكفى شقوة أيامه

حتى يعود للقلب رؤاه أو يبلغ فينا الود مداه

داوى فينا الدمع النازف

داوى فينا الخفق الموجع

مدى يديك، فتانا ليس فتانا

قديما لم يفصح شيئا

لكنه اليوم أعلن عصيانه

شكى إليك مكنون الصدر فأجيبى!

وضمه إليك واسقة فيض حنين العين

واحمه بسياج الصدر من كيد الناس

●●●

آه ياجميل!

أمسيت تشتكى الوحدة والفراغ، تكتب لماجدة،وتلح فى

طلب اللقاء، فهل تخدع نفسك؟ بالتأكيد لم تعد تمتلك منها إلا حفنة ذكريات.. أنت تعذب نفسك، وتجلدها، متى خلوت بها.. فهل نسيت إيمان؟

كانت أمامك، واستطاعت أن تمهد لك الجو فى بيتها، تعاركت من أجلك، تخاصمت مع أمها حين رفضتك، نعم أما تزال تخدع نفسك؟

هل كنت تعانى من خداع إيمان شمس الدين؟

فى الحقيقة أنت تقلب الحقائق، إيمان لم تخدعك يوما، تتذكر يوم جاءت فى اليوم الموعود، وأنت تنتظرها فى حديقة قصر الزعفران وقالت لك:

- مهندس زميل أخى فى السعودية، حضر بالأمس لخطبتى!!

وحين سألتها: وماذا قلت؟

- أجابتك: لقد طلبت أسبوعا للتفكير!

أتذكر حين طلبت رأيك، كان الصمت والسكون ..... ماذا تقول؟

أتذكر حين قالت لك:

- اعمل حاجة، تقدم لهم، وسأقف بجانبك، ولن أطلب شبكة... فقط تقدم لخطبتى..

ولكنك دائما تعانى من التردد، وتظل تحسبها بالقلم والمسطرة.

هل نسيت أن الحياة فرص لابد أن تقتنص؟

أنت الذى علمت الجميع ذلك وحفظوا عنك هذا البيت المشهور:

يفوز باللذات كل مغامر..

ويموت بالحسرات من يدرك العواقب

هل نسيت؟

لقد قالت إيمان والدموع تملأ عينيها:

- تقدم لخطبتى يا جميل وأنا على استمداد أن أنتظرك عشر سنوات.. سوف أتحداهم من أجلك.. يومها لم تصدق العريس الذى تقدم إليها!

وهل كذبت عليك إيمان من قبل؟

واليوم تبكيهاوتتحسر على أيامها.. وتتهمها بالخداع!

واجه نفسك يا جميل.. ساعتها سوف تتكشف الحقيقة أمام عينيك!

اليوم تكتب لماجدة وتبثها شوقك ولهفتك!

تعلم جيداً أن ماجدة كانت وماتزال صديقة وفية وقفت إلى جوارك، تضمد الجراح النازفة، حين علمت بزواج إيمان

شمس الدين وسفرها للسعودية، نعم ماتزال تذكرها جيداً وهى تقول:

ـ ما هذا يا جميل.. قف يا رجل شامخاً على قدميك!

ـ لم يحدث شىء، وما انكسر يمكن إصلاحه، وهل الدنيا كلها إيمان شمس الدين فقط؟ قم يا صديقى إن عودنا يشتد ويقوى من كثرة الصدمات التى تعترض حياتنا.

نعم تذكر هذا وتذكر أيضاً أنها كانت مخطوبة، ولم تعدك بشىء، فقط كانت تواسيك، تضمد جراحك.

وهل ذنبهاأنك أحببتها؟ إنك الآن تعترف بينك وبين نفسك، أنك تسرعت فى علاقتك معها، أردت أن تنسى تجربة، فأقحمت نفسك فى تجربة أخرى «وداونى بالتى كانت هى الداء»

فماذا تفعل بحياتك يا جميل؟

كل صباح وطوال اليوم تكشر عن أنيابك، تدافع عن قلعتك مثل الأسود، تصنع لنفسك قالبا من زجاج، قناعا تخفى وراءه ضعفك، وقلبك ما يزال يئن من الجراح، طوال اليوم تزأر، تشخط فى هذه، تكشر لتلك!

حتى إذا جاء الليل، تأكلك الوحدة، باردة لياليك إلا من حفنة ذكريات، كانت لك دوما!

واسع سريرك أو هكذا تظنه، بارد فراشك حتى في عز يونيو ويوليو، رأسك ثقيلة وعنيدة، تطن كخلية نحل في موسم العمل، ومطرقة ثقيلة تدق على رأسك مثل ساعة الحائط، فماذا بعد يا جميل؟

هاهى البنات الجميلات يتحلقن حولك، يتنافسن عليك، يتعاركن صمتاً، يتشاجرن بالإشارات والغمزات، حتى أمسيت فارسهن الوحيد.. وأملهن ومنتهى حلمهن بالليل والنهار.

خمس بنات يتنافسن عليك، وأنت دوما تلوذ بالصمت والتردد.

فهل ما تزال ترى أسباباً للتردد؟

نعم.. مئات المدرسين أحبوا طالبات وكان الزواج ناجحا، هل تتكر؟

بالتأكيد أنت تعرف قصة الأستاذ........... والطالبة ....

وتعلم جيداً حكاية الطالبة .... مع الأستاذ .... لكنك أدمنت عذاب نفسك!

تعذب نفسك بذكرى إيمان وتداويها بحبك لماجدة...

والآن أنت تتعذب بذكريات الاثنتين معا!

فمتى تعرف أن سنوات العمر ترحل، ودون استئذان،

خمسة وثلاثون عاما، وأنت وحيد، وعشر سنوات وأنت تعمل مدرسا، الم تتعب؟ ألم يحن الوقت أن تستريح؟

ارحم نفسك، واختر واحدة من البنات، أمامك نجوى ودعاء ورانيا وولاء وإلى جوارك هناء حسين.

هل تنتظر أن تأتى إحـــداهن إليك وتطلب يدك، قم وحطم بيتك الزجاجى الذى تعيش فيه، ومزق قناع الخوف والتردد، الذى يكسو وجهك، ويحجب عنك نور الشمس الدافئة، فهل تفعل؟

بالأمس وفى مكتب مديرة المدرسة، كانت التلميحات، إشارات حمراء واضحة فهل تفهم؟

أخذت تلف وتدور قائلة:

- يا أستاذ جميل، الكل يشهد لك بالأخلاق والعلم والأدب ولكن لا تنس أن معظم النار من الشرر الصغير المتطاير..

وأنت جالس تهز رجليك، يتصبب عرقك خيوطاً، ترتعش يدك، تجفف حبات العرق، تعتدل، تبلع ريقك يرطب حلقك، متلعثماً تقول:

- وهل حدث شيء؟

- يا أستاذ جميل، واجبى هنا أن أنبهك، ألفت نظرك.

وأعقبت وقد كشرت عن أنيابها:

ـ من فضلك يا أستاذ جميل أنت رجل كبير، وأستاذ عظيم لا تجعل الطالبات تلعب بأعصابنا كل يوم، كن حريصا أكثر من ذلك، ولاتقترب أكثر من الطالبات، دائما خُذ مسافة كبيرة، بينك وبينهن..

ـ يا أستاذ جميل.. لست فى حاجة لأذكرك أن الذى يتغطى بالبنات عريان..

ـ أتمنى يا أستاذ أن تفهم قصدى!

ـ فهمت حاضر، بعد أذنك!

تخرج من حجرة المديرة، يفيض عرقك فوق جبينك، لم يفلح معك المنديل، تتحسس جبينك الملتهب، يقابلك الأستاذ إمام مدرس الإنجليزى، يسألك:

ـ فيه حاجة يا أستاذ جميل؟

تومىء برأسك.. لا .. لا، مافيش حاجة.. تذهب إلى حجرة المدرسين، تستقبلك نظرات الزملاء وأسئلتهم:

ـ المديرة.. كانت عاوزاك ليه؟

ـ احك، قل يا رجل.. ماذا هناك؟

تنظر إلى العيون المتسائلة الدهشة والمفتوحة.. تشرب كوب الماء دفعة واحدة، تشتعل رأسك بالتفكير، وتسأل نفسك.. ماذا حدث؟

وهل أصبح المخبوء والمستور مقروءا؟

وهل وصلت همسات البنات للمديرة؟

أم أن هناك أيدى خفية تجيد تحريك الأمور؟

تتذكر الآن الأستاذ خالد، وهو ينظر إليك من خلال سحابة دخان سيجارته، التى أخرجها دفعة واحدة فى وجهك وهو يقول:

- ها يا جيمى.. معانا ولا علينا..

وحين أخذتك الدهشة قائلا:

- نعم.. هه..

ضحك ضحكة ممطوطة وأخذ نفسا طويلا وأطلقها كقذيفة فى وجهك، وتحصن خلف سحابة الدخان ثم قال:

- أقصد هل أنت من حزب اليمين أم من حزب اليسار؟

قلت ومازالت الدهشة تأخذك:

يمين إيه ويسار إيه.. يا أخى فسر ما تقول، قاطعه الأستاذ إمام قائلا لخالد:

- يا عم طلمه من دماغك، دا من حزب الوسط.. لا بيهش.. ولا بينش..

قطب خالد جبينه، ونظر إلى إمام وعينه تقدح شرراً:

- ده، ده دماغ، دماغ كبير قوى، اسألنى أنا!

لا تدرى يا جميل، لماذا تتذكر هذا الآن، والآن بالذات؟

هل خالد وراء هذه الأقاويل؟

ورحت تطمئن نفسك:

- لا تقلق يا جميل.. وهل حدث شيء يستحق؟

تغادر حجرة المدرسين، وما تزال العيون مفتوحة تتابعك، يعلوها الدهشة وعلامات التعجب وأسئلة الزملاء تخفت شيئا فشيئاً:

- يا جماعة عاوزين نعرف حصل إيه..

وأعقب الأستاذ إمام:

- وها نعرف منين، جميل والمديرة كانوا لوحدهم فى المكتب؟

ولم تنتظر الجرس الأخير، تنفلت من الباب الرئيسى - نصف المفتوح - تملأ صدرك بالهواء البارد والمترب، تغادر شارع المدارس ورأسك تتمزق بالصداع اللعين!

تتكوم داخل الميكروباص، تسلم نفسك للشباك والنيل، وألف ألف سؤال ما يزال يطن على رأسك، فيستبد بك القلق وحين يمتلىء فمك بالمرارة، تبصق ملء فمك، ساخطاً على المدارس والبنات والتعليم من شباك السيارة!

من الشباك، تحلق بعيداً مثل عصفور الماء الأخضر، تطير، تتخيل، تدخل ردهة واسعة، سلالم رخامية، أسانسير، تمتد يدك بمفتاح الشقة، تتسع عين الدهشة، الشقة تبرق

تشع نوراً، والزرع الأخضر، يضاعف حسنها، آية الترتيب شمس ساطعة، لمسات الديكور الأنثوية، تخطف العقل وتسحر العيون.

ترحب بك، تفتح ذراعيها، تقبلك، تحمد الله على سلامتك، تساعدك فى تبديل ملابسك، الحمام السخن يرحب بك، يعالج تعب النهار الفائت، رائحة الطعام الشهى تشدك، تأكل، كأنك لم تر طعاما قط.

بعد الغداء، تدخل غرفتك، تتمدد بجانبك، تلمس يدها، يلفحك عطرها الباريسى، تقترب منها، تدنو منك، تضغط على يدها، تتكسر عيناها خجلا، تمد يدك، تتكشف لك ملامح أنثوية صارخة بالحرمان، تدفن رأسك في صدرها العاري، تضمها إليك، تلمس يدك الأخرى لحمها الطرى، تلامس الجلد السخن الناعم، تمتزج حبات العرق، تضمها إليك أكثر، وكأنك تزيح عذابات اليوم الطويل، نداءات السائق تفزعك:

- يا أستاذ الآخر يا أستاذ!

تنتبه تفتح فمك دهشاً:

- هه .... نعم

- وصلنا آخر الخط

يا أستاذ نازل فين!

3

يوميات مدرسة البنات

يوم دعاء

"كان يسكن قلبى
وأسكن غرفته
نتقاسم نصف السرير
ونصف الرغيف
ونصف اللفافة
والكتب المستعارة"
(أمل دنقل)

وحين رأيتك فى الفصل للمرة الأولى، مصمصت شفتى، تكاسلت فى الوقوف لتحيتك همست لرانيا التى تشاركنى نصف المقعد، كل المدرسين كشرين، لكنى لا أعرف لماذا انتابنى شعور غريب أنك حزين؟ مرت الدقائق الأولى علينا كأنها زمن طويل، لم يطل صمتك كثيراً، حين اكتمل وقوف البنات وساد الصمت، انفرجت ابتسامة خفيفة بين شفتيك وأنت تقول:

- صباح الخير

- جلوس

كان حديثك وطريقة شرحك للدروس، تأخذنى إليك، تجذنى ناحيتك، وأرانى أتعلق بك يوما بعد يوم.

مع بداية الاسبوع الثانى، وجدتنى أحلم بك، أراك تكلمنى وأنا أذاكر، أنسى كل المواد الأخرى، وتسرع يدى باحثة عن قصائد الشعر فى كتاب النصوص، أهم بتقليب الصفحات الأولى، تطالعنى صورتك، بصوتك المرتفع الحازم مع ثرثرة البنات بابتسامتك الحلوة وأنت تسمع تعليقاتهن، بخجلك الجميل وأنت ترفض الإجابة على بعض أسئلة البنات الخاصة..

هل تعلم أن حياتى فارغة، مملة؟

إن أبى خارج البيت على طول، مسافر أمى تثرثر فى

التليفون ليلا ونهاراً، وإخوتى الصبيان دائما مشغولون عنى بكرة القدم، مجنونون بها يملقون صوراً ملونة، للخطيب وحسام حسن وحازم إمام وآخرين..

وألوذ أنا بغرفتى، أحكم غلق الباب من الداخل، حتى تخرج أنت من بين قصائد الشعر التى تجيد قراءتها وأحب سماعها منك.

هل تعرف؟ بالأمس كنت معى تطوق خاصرتى، وتضمنى إليك، وتمسك يدى.. ولكنك ترفض قبلاتى..

أرجوك فى الزيارة القادمة أن تقبلنى، إننى فى حاجة إليك..

حين نلتقى، أنظر إليك طويلا، فقط أنظر إليك، أنتظر أن تبدأ الكلام معى، لكن يسود الصمت بيننا، هل أنت غاضب منى؟

إن أجمل لحظاتى وأنت معى، أشعر أننى أطير شوقا بك ولهفة عليك، وتتكلم العيون طويلاً، فهل تسمع كلامها؟

لماذا تبعد عنى كلما اقتربت منك؟

لا أظن أن ما بك يقل عما بى!

نعم أننى أشعر بك وأنت تطوقنى بين ذراعيك، تضمنى إليك، تلمس يدك شعرى الطويل.. ساعتها أشعر بقشعريرة

تهزنى، أتمنى أن تجذبنى إليك، تمنح شفتى قبلة تسكرنى بها، فلماذا لا تفعل؟

جرس التليفون لا يهمنى، نداء أمى لا يعنينى، الطرقات المتتالية على باب غرفتى لا تقلقنى.. الحياة أنت، والعمر ثوان معك، أرجوك لا تفارق يدى، عناق الأصابع يسكرنى، أشعر أننى جزء منك من كيانك ونفحة من روحك..

فلماذا جبل الصمت يعلو بيننا فى الفصل؟

لا تنظر إلى الأخريات، انظر إلىّ، قريبة منك جداً، أنت ترانى فلماذا تتحول عنىّ؟! وتلهو مع البنات..

- إننى أحبك، هل تفهم؟

إننى أكاد أصرخ، أحبه يا ناس، أحبه يا عالم!!

إننى متأكدة أنك تحبنى، فلماذا تتجاهلنى؟

يا أيها الرجل القابع فى صدرى، الساكن فى حجرات القلب، إننى أحبك، فمتى ستهب العاصفة؟ تكسر حاجز الصمت وجدران السكون التى تعلو بيننا.

تعال ولا تخف، لن يراك أحد، سيكون لك شعرى وشاحا يؤيك، قلبى وعمرى شجرة ظليلة تحميك، شفتى نهراً يرويك وصدرى وذراعى وسادة تنام عليها حتى نروى ظمأ السنين وقيظ الأيام.

يا أيها الشامخ الواقف فى الفصل والذى يملأ حياتى..
لماذا تصمم دائما على أننى صغيرة..؟

لا، إننى كبيرة وناضجة، بالأمس كنت أحلم بك، رفيقا تنام إلى جوارى فى غرفتى المغلقة، كنت تتوسد صدرى، أناملك تلمس شعرى الناعم الطويل، كانت يدى تعبث بأزرار قميصك، حتى استطعت أخيرا أن ألمس شعر صدرك الكثيف، وحاولت لو أنفذ إلى قلبك لأرى هل أسكن حجراته الأربع؟ أم تقاسمنى فيه إحدى البنات اللاتى تتشاغل بهن عنى، ولولا أننا فى المدرسة، لقمت إليها ومزقتها بأظافرى وأكلتها بأسنانى، لأنك لى وحدى، فهل تفهم؟

بالأمس حكيت لك كل أحلامى معك، قدمت إليك كشف حساب عن حياتى قبلك، قلت لك إننى لا يعجبنى «العيال» الذين يتسكعون على ناصية شارع المدارس، ويهمسون للبنات المراهقات بالكلام المعسول ويلح عليها أن تسمعه، وحتى إن وافقت عليه من باب «نسمع.. هه وبعدين» يظل يلف ويدور بها على الكورنيش من مصر القديمة إلى ميدان التحرير، لحد ما تقع منه من كثرة المشى، دون أن تأخذ منه جملة مفيدة، يظل يكلمها عن المستقبل، ها أعمل وأسوى، وهو لسه بيأخذ المصروف من أمه، ويمكن ساقط ثانوية عامة..

بالأمس قلت لك، أريد رجلاً ناضجاً، يحتوينى، يأخذنى

من الوحدة التى تملأ حياتى، رجلا تتحقق أحلامى معه، يخطفنى على حصانه الأبيض من هذا الملل الرهيب والفراغ الرتيب.. فهل تفعل؟

نعم تغيرت الأشياء فى حياتى، حين صافحت يدك للمرة الأولى، عند رانيا فى أول حصة للدرس، ساعتها نامت يدى فى يدك الدافئة، أحدق طويلا فى لون عينيك، واخترت مقعداً فى مواجهتك، حتى أشبع منك، لا أستطيع أن أصف سعادتى بك، فأنت فى الدرس تبدو مختلفاً عن المدرسة، تبدو رقيقا، حنونا، بشوشا، تشرح بطريقة أكثر ألفة، أراقبك وأنت تشرح تتكلم لكن الذى آلمنى ضحكك مع البنات، لكنى وجدتك تخصنى بحنان كبير، تفيض به نظراتك إلىّ، تغمرنى بهذا البريق اللامع فى عينيك وارانى أسبح فى عينيك، وأبحر فى شاطئيها ولكنى أغرق، وأجدنى سعيدة بهذا الغرق اللذيذ، وآمل أن يبقى ويدوم طول العمر، ليتك تغرقنى فى حبك مثلما أفعل، ويدك تضم يدى للأبد، ليت حياتى تتوقف وأنا أنام بين ذراعيك، وأتوسد صدرك، هل لم تفهم بعد أنى أحبك؟

فهل تشعر بى.. أم ترانى أبنى قصوراً فى الهواء؟

أعترف أن المسافة بيننا بعيدة وكبيرة، وأنها الحقيقة التى تبعدك عنى، لكنك قريب جداً منى، أكلمك اناجيك،

أشعر وأحس بك تبادلنى نفس الشعور، ذلك المبرر الوحيد لحبى لك.

●●●

عزيزى الأستاذ/ جميل..

أكتب إليك للمرة الثالثة، وأوكد لك هذه ليست خواطر، تكتبها طالبة مراهقة، فى فصل ٣/٣ ولكنها اعترافات الحب والشوق أكتبها إليك، بعدما عجز لسانى عن النطق بها، وفشلت كل محاولاتى معك، الإشارات، الابتسامات، التلميحات، وحين تملكتى حبك، وغلبنى الشوق إليك، تلهفت للحديث معك، لكنك تعرف ضعفى أمامك، ارتباكى أثناء الدرس، ترددى الإجابة على سؤالك، بالتأكيد أنك تعلم أننى أملك من الحب أكثر ما أعرف من كلمات، وكم أشعر بالخجل من تدفق اعترافاتى بين يديك..

وما العمل حين أجد لسانى عاجزاً أن ينقل إليك مشاعرى؟

وماذا أصنع حين لم أجد منك كلمة واحدة تطفىء لهيب النيران المشتعلة فى صدرى؟

وكم مرة كتبت إليك لكنك قتلتنى بهذه الجملة «خواطر جميلة»

فهل لم تفهم بعد عواطفى نحوك..؟

لا أصدق وأنت الأستاذ الكبير الذى يشرح، ويفسر لنا قصائد الشعر الصعبة.. لقد حفظت النصوص الشعرية من قراءتك الجميلة، وشرحك الفياض وأسلوبك السهل الجميل..

فهل ترانى يا أستاذ/جميل.. أصدق أنك لم تفهم بعض الكلمات النثرية، التى كتبتها إليك وسطرتها أشواقى إليك، وحملتها مشاعرى نحوك..؟

- هل تريد أن أعترف لك صراحة؟

- «حاضر» سأفعل...

- نعم إنى أحبك يا أستاذ جميل.. والله بحبك.

لكن أن تتجاهلنى بهذا الشكل، فإن تجاهلك يشعل النار فى صدرى، وأقسم كل ليله بينى وبين نفسى، أننى فى الصباح لن أكلمك، ولا أعرف لماذا عندما أراك أشعر بقدمى تسير ناحيتك رغما عنى، وأجدنى أدور فى فلكك طوال اليوم، وفى حصصك لا أشعر بوجود البنات، أشعر أنك معى، وأن كل هذا الكلام الجميل يخصنى، ترانى مشدودة إليك إلى كلماتك، أتابع مخارج الألفاظ من فمك؟

كم مرة تمنيت أن تنطق لى بكلمة «أحبك»!

هل تصدق أننى بين الحصص أخرج لأبحث عنك؟

كلمات المشرفة لا تهمنى، تهديدات الوكيلة لا أهتم بها،

وحين لا أجدك أفتقد الكثير والكثير، بل تكاد تضيع نفسى، فمتى ترد علىّ نفسى؟

وأظل أبحث عنك، وأتلهف لرؤيتك، أخاف أن تفضحنى لهفتى عليك أمام البنات، وأنت تعرف البنات أكثر منى، وأخاف أن أسأل المدرسين عنك!!

وأخيراً أراك تمشى فى الردهة البعيدة.. فتهدأ نفسى!

أرجوك قل لى أنت، لماذا عندما أراك تصبح حياتى أجمل؟

لا أنتظر منك إجابة، فقط أريد أن تعرف كم أحبك!

إننى جلست إلى قلمى، أخاطبك عبر حروف من نار، عبر كلمات تتفجر وتفيض شوقا إليك، تسطر لك حبا يرفرف فوق السطور!

لكن قل لى: لماذا كل هذا الحزن يرتسم بعمق على جبينك؟

ليتنى أستطيع أن أذهب عنك بعض حزنك...

لماذا لا تفصح عن سر هذا الحزن حتى تستريح من العناء؟

إننى لم أضعف هذه المرة، وأعترف لك بحبى إليك.. وقلتها لك صراحة فإننى أشعر بنفسى تذوب معك، تتلاشى

أمامك.. إن حياتى بك جنة خضراء.. أنت ملكها.. وسيدها فهل عرفت الآن يا أستاذ كم أحبك!؟

لكنك تهرب من الحقيقة الوحيدة فى حياتى، فهل ماتزال ترى أننى صغيرة!؟

أنت مخطىء يا سيدى مثل كل الأباء والأمهات..

هل أنت مثل الآخرين الذين ينخدعون فى ملابس المدرسة؟

وأنتم لا تعرفون أن خلفها بنات بالغات، ناضجات، نحتاج إلى من يسمعنا، لا تصمم يا سيدى على كتم هذه الحقائق وخنقها..

لم أعد صغيرة..

إننى أمتلك شجاعة الاعتراف.. البوح.. فهل أنتظر طويلا حتى تعترف بحبك لى؟

بالأمس تعاركت مع هناء حسين أثناء الخروج من المدرسة، لا أعرف لماذا كنت أحتاج إليك؟

فقط أراك، وتبتسم لى، بطول الردهة ظللت أفتش عنك، فى الحوش كنت واقفة أبحث عنك، حتى جذبتنى هناء قائلة، اخرجى يا دعاء.. لقد خرج منذ الحصة الخامسة!

ووجدتنى أرد عليها مغتاظة:

- مين اللى خرج؟

لكنها قتلتنى بجملتها:

- اللى مش سائل فيك يا جميل!

ووجدتنى أندفع إليها، أجذبها من شعرها، لكن رانيا وأمل وهبة وقفن بينى وبينها وقبل أن يشتعل العراك، فى الطريق كانت رانيا تمشى بجانبى، تحاول أن تخفف قليلاً عنى قائلة:

- ولا يهمك، كل البنات تعرف هناء حسين وتعرف هيه بتعمل إيه، فى شقتها مع الشباب.. ولا أعرف لماذا وجدتنى أقول وكأننى أكلم نفسى وأعزيها؟:

- الوحدة قاسية يا رانيا، أبوها مات، أختها تزوجت، وأمها قاعدة فى المطعم بالليل والنهار والمسكينة عايشة فى الشقة الطويلة العريضة لوحدها، ولكن رانيا ردت بسرعة:

- لا يا دعاء، وهل علشان أمها مشغولة عنها نعطيها العذر تعمل الغلط!!؟

وأجبت بسرعة:

- يا رانيا، يا حبيبتى كل بنت بتحافظ على نفسها..

لكن رانيا أجابت باندفاع:

- دعاء، تحافظ إيه وهباب إيه، واحدة تعزم صاحبها على

كباب وبيرة ويكملوا السهرة بانجو وتقولى بتحافظ..

ـ سلامات يا محافظة!

ـ يا رانيا كلها إشاعات!

ـ إشاعات، طيب إيه رأيك أن الإشاعات بتؤكد أن هناء متزوجة عرفى هى والأستاذ........

مين يا رانيا.. الأستاذ مين؟

ولا أدرى لماذا دارت بى الأرض حينما سمعت كلمة الأستاذ؟ ورحت أعيد وأكرر سؤالاً وحيداً طول الطريق.. هل يمكن أن يكون أنت يا أستاذ جميل؟

وكدت أقع على الأرض من الدوار، لكن رانيا لم تكمل.. وظللت ألح عليها، الماكرة هربت منى ومن السؤال، وصلنا إلى عمارتنا، وجدتها تشير إلىّ بيدها وتغمز بعينيها:

ـ باى باى يا جميل!

ـ هذه الماكرة تعرف كل شىء وتخفى عنى!

ـ ماذا تقصد بـ«جميل»

ـ آه يا أستاذ يبقى آخر يوم فى حياتك لو عملتها وتزوجت هناء حسين!

ـ وهل لم تجد فى المدرسة كلها إلا هناء؟

كانت الأسئلة تطن فى رأسى وتدمى قلبى وأنا أدخل

غـرفـتى، وجـدتنى أقف طويلا نصف عـارية أمـام مـرآة الدولاب ورحت أسأل نفسى:

- ماذا تفعلين يا دعاء لو صدقت رانيا فى هذا الكلام؟

- وما الذى جذبك يا أستاذى إلى هناء؟ وماذا ينقصنى؟ بالتـأكيـد أننى أجمل من هناء حسـين هذه! ورحت أتأمل شـعـرى، وعـدلت تسـريحـتـه إلى اليـمـين وإلى الشـمـال وتحـسـست وجـهى بيـدى ونظرت إلى لون عـينىّ، ولمست صدرى - نصف العارى - وحاولت معرفة مقاص خاصرتى، ووضعت يدى على بطنى الضامرة، ثم جلست إلى السرير، أتأمل الساقين الملفوفين، أتذكر قول البنات:

- إن أجمل ما فى دعاء، شعرها وحمرة خديها، يخرب بيتك، كريم وبدره.. وصرخت فيهم:

- لا والله ده طبيعى..

وتمرغت على السرير، وأخذت المخدة بين ذراعى، ورحت أحضنها وأقبلها قائلة:

- آه لو تعرف كم أحبك يا جميل.. آسفة يا أستاذ جميل.

حتى منتصف الليل، لم أذاكر كلمة واحدة، لأول مرة أضيق بغرفتى، أختنق بها، أفتح البلكونة، الهواء ساكن والجو كئيب، أخرج إلى الصالة، أمى تثرثر كالعادة فى التليفون، حتى يخيل لى دائما أنهم اخترعوا التليفون من أجل أمى!

ورحت أسأل نفسى:

ماذا تفعل أمى لو لم يكن فى البيت هذا التليفون؟

ولما طالت وقفتى أمام أمى، تنبهت أخيراً وسألتنى دون أن تنهى حديثها:

- ماذا يا دعاء؟ هل تحتاجين إلى شىء؟

- أيوه يا ماما، عاوزة فلوس الدرس، الحصة الرابعة بكرة ولازم أدفع مع البنات، وبعدين عاوزة أكلم رانيا علشان أتأكد من الميعاد، لأحسن سمعت إن الأستاذ....

ولم تتركنى أكمل: حاضر.. حاضر!

جلست أمام التليفزيون المفتوح دائما، دون أن يتابعه أحد فهو على حد تعبير أمى:

- «حاجة ونس فى البيت»..

بعد طول انتظار حملت التليفون إلى غرفتى وطلبت رانيا، وأخذنا نتكلم كثيراً حول خناقة اليوم وحكايات البنات وآخر الإشاعات ولا أدرى لماذا توقفت فجأة؟ وسألت رانيا:

- بمناسبة الإشاعات هناء تزوجت مين؟

وكالعادة الماكرة هربت من الإجابة ولم تفلح توسلاتى معها.. وحين قلت لها:

- هل فعلا هناء حسين تزوجت الأستاذ جميل فى السر؟

أجابت ضاحكة:

- بكرة ميعاد الدرس تقدرى تسأليه هذا السؤال؟

وحين شعرت رانيا بطول صمتى وتفكيرى فى هذا السؤال قالت:

دعاء مع السلامة.. عاوزه أحفظ الواجب، علشان لما يسمع أكون حافظة وعقبت:

- صاحبتك هبه بتحفظ بالصفحة وزى الكتاب ما بيقول..

- دعاء.. دعاء.. باى، باى!

ونسيت التليفون، كنت أحاول أن أجد إجابة للسؤال الذى يملأ رأسى:

- هل يمكننى أن أعيش هذه الحياة بدون الأستاذ جميل؟

حتى الثانية صباحا، كان النوم يخاصمنى، وكانت رأسى تدق مثل ساعة الحائط، ورحت أتذكر التفاصيل الكثيرة والصغيرة التى تجمع بين هناء حسين والأستاذ جميل، فى الفصل، أثناء الفسحة، يوم الرحلة، آه تذكرت:

- الرقص، فى يوم الرحلة رقصت هناء، كأنها راقصة درجة أولى وتحلقت البنات حولها، وصفق لها المشرفون والمدرسون!!!

لا أدرى لماذا تابعت نظراتك يا أستاذ جميل لرقصها؟

وكم رأيت وجهك ترتسم عليه ملامح الفرح، هناء تتمايل وتتمايع وتتثنى، وهى تغمز لك بعينيها، وتناديك بيديها، وتدعوك أن تراقصها، فهل كنت سترقص معها؟ وهل يعجبك رقصها؟

أعرف أن كل الرجال تحب أن ترقص لهم النساء، أتحب الرقص؟ بالتأكيد كل البنات يرقصن.

- نعم، نعم إننى أرقص أحلى ألف مرة منها!

- نعم يمكننى أن أرقص، بشرط أن أرقص لك وحدك، هل تفهمنى؟

- فى طابور الصباح بحثت عنك طويلا، وفى الحصة الأولى كنت أنتظرك تدخل الفصل بين دقيقة وأخرى!

دقائق ودخل الأستاذ إمام وسرت همسات البنات تملأ الفصل..

الأستاذ جميل غايب، وهناء حسين غايبة، وطار ما تبقى من عقلى، ووجدتنى أقف وأسأل دون حذر الأستاذ إمام:

- لو سمحت يا أستاذ.. الأستاذ جميل غايب ليه؟

- الأستاذ جميل مريض، وبلّغ مرضى ادعوا له بالشفاء!!!

هل شفتنى هذه الإجابة؟ من الوساوس والإشاعات التى ظلت تطاردنى، منذ ظهر أمس وطول الليل؟

أعترف أننى ارتحت قليلا بهذه الإجابة، لكننى أعترف أيضا أننى أشفقت عليه.. هل لأنى أعرف أنه يعيش بمفرده؟

ورحت أسأل نفسى:

ـ ترى من تعطيه الأدوية؟ ومن تجهز له الطعام؟ ولماذا لم يتزوج حتى الآن؟

ـ كم انت محير يا أستاذ جميل!

دخل المدرسون، شرحوا، خرجوا، ولم افهم كلمة واحدة، كنت أجلس شاردة، أتخيل كل المدرسين الذين وقفوا يشرحون اليوم، أتخيلهم جميعاً بملابس الأستاذ جميل، وطريقة شرحه بل ونبرة صوته المرتفع الحازم أمام ثرثرة البنات، عافت نفسى طعام الغداء، ودخلت غرفتى أحاول أن أنام!

هيهات أن يعرف النوم الطريق إلى القلب والعقل المشغول.

بعد منتصف الليل حملت التليفون إلى غرفتنى وطلبت الأستاذ.. ظل تليفونه مشغولا فوق الساعة ورحت أقلق من جديد:

ـ ترى مع من يتكلم الأستاذ جميل كل هذا؟

أخيراً سمعت، رنين الجرس، حين هممت أن أتكلم، وقف

الكلام فى حلقى، وجاءنى صوت الأستاذ ضعيفا. واهناً بعيداً، ووجدتنى أقول له بدون مقدمات:

ـ ألف سلامة عليك يا أستاذ، أنا دعاء، المدرسة عذاب من غيرك يا أستاذ.

فى السابعة والنصف تماماً خرجت من البيت قاصدة المدرسة كالمعتاد، حين لمست أرض الشارع وجدتنى أغير اتجاه السير، أقف أشترى الصحف والمجلات، بعض المعلبات والعصائر، أضغط على جرس الأستاذ..

ووجدته يتراجع فى ضعف، أغلقت الباب، تركت ما معى على أقرب ترابيزة ولحقت بالأستاذ، أضع يده على كتفى، أطوق خاصرته بيدى، ساعدته أن يستريح على سريره. أجلس على حافة السرير. أبكى بكاء مريراً طويلاً. أقبّل يده وجبينه وخده قائلة:

لن أتركك وحيداً بعد اليوم..

ولأول مرة ألمس خده، أخذ يجذبنى إليه ويقبلنى و......

نداءات أمى الصباحية، شدتنى من الأحضان الدافئة، وحين ملكت وعيى، كنت ما أزال أحتضن مخدتى، أمطرها بالقبلات، ألمسها بخدى، أفتح عينى الدهشة، أتذكر تفاصيل حلم الليل الجميل.

فى الصباح المدرسى أتصفح كل وجوه المدرسين، أعرف

أنك فى أجازة مرضية وأنك لن تأتى اليوم!

ولكنى رحت أتصفح كل الوجوه، أتعمد الخروج من الحصة لأقل الأسباب، مرة أبحث عن طباشير للأستاذ، وثانية لإحضار ورقة الغياب، وثالثة....

أتجول فى الردهة، أدخل حجرة المدرسين، الوكيل، المديرة بحثا عنك أشعر بأننى بحاجة إليك، ينقصنى الكثير بفقدك، بغيابك، تائهة بدونك، حائرة، قلقة لا أستطيع الجلوس فى الفصل، ما أزال أسير فى الردهة الطويلة، أبحث عنك، أبحث عن نفسى معك.

وسؤال وحيد يقف على طرف لسانى:

ـ متى ترد علىّ نفسى؟

أشعر أن اليوم الدراسى طويل، الحصص مملة وكئيبة، كلام المدرسين ماسخ ومعاد، أؤكد لنفسى أننى سمعته ألف مرة، لم أعد أذكر كم مرة لكزت رانيا بالسؤال الهامس؟

ـ ما تعرفيش الأستاذ جميل خد أجازة كم يوم؟

الملعونة لم تعطنى إجابة شافية، نظرت إلىّ ساخطة:

ـ اركزى بقى واهبطى.. ما عرفش!

هل وعيت دروس اليوم؟

هل وقفت طويلا فى الحوش علنى أصافحك؟

جذبتنى رانيا من يدى، خرجت من المدرسة، بطول الطريق كانت رانيا تهمس لى ضاحكة بحديث لم أع منه كلمة واحدة.

كانت صورتك تتراقص أمام عينى، أتخيلك، تتحدث معى، تبتسم لى، تفرد يداك جناحين أحلق وأطير أمامك وخلفك مثل عصفورة صغيرة بللها المطر، تقف وحيدة فى العراء، بلا أب يحميها ولا أم تضمنى لصدرها...

حين دخلت حجرتى الواسعة، كنت ما أزال أشعر ببرودة كبيرة، تهزنى لم تفلح معها بلوفر الشتاء ولا جاكت المدرسة، بدلت ملابسى، ونمت دامعة العينين، أشتكى غربتى وسط إخوتى، أشكو إهمال أمى وانشغالها عنى فى النادى، مع شلة الصحاب.

حتى فى البيت تحتضن أمى التليفون، أشكو السفر الذى أخذ منى الغالى والحبيب، أبى، أشكو إخوتى وانشغالهم عنى دائما، فى النادى، وفى لعب كرة القدم، عراكهم ومرحهم، أشكو وحدتى فى الغرفة الواسعة الباردة، أشكو أمى وألح عليها أقبل يديها، أن تسمح لى بالنوم فى حجرتها، فأنا ابنتها الوحيدة، وأبى مسافر، ولكنها ترفض وتصمم على الرفض!

- هل أنت صغيرة؟

- رحت أسأل نفسى هل تفضل أمى مصاحبة التليفون على ابنتها الوحيدة؟

- ولماذا تصمم أن تنام وحيدة فى غرفتها رغم سفر أبى الطويل؟

وكنت أحسد محمدومحمود إخوتى، إنهما توءم، متحابان، يخرجان معاً، يلعبان سوياً، وينامان فى حجرة واحدة! يجدان من يهتم بهما، يعد لهما الطعام والشراب.

أما أنا، فعلىّ أن أقوم بخدمة نفسى على الأقل «على حد تعبير أمى».

- الأكل فى الثلاجة، بس اغرفى لنفسك وكلى!

اين أنت يا أبى ينقضى الكثير لغيابك؟

هل تعرف يا أبى؟ بعد سفرك، يمر أكثر من شهر ولا نكاد نجتمع على طعام واحد، الكل مشغول، الكل يجرى على اللحاق بمواعيده.

ويا للحسرة إنه سباق على اللاشىء!

تأكل أو لاتأكل، لا أحد يهتم بك، تذاكر أو تذهب للدروس، لا أحد يتابعك!

حتى أصبحت لا أبحث عن أمى - المشغولة دوما - إلا فقط كى آخذ منها الفلوس!

كم أحبك يا أبى.. متى تعود؟

لم تعد الرسالة الشهرية تكفى لتضميد الجراح بيننا يا أبى....

والمكالمة التى تعقبها بأسبوع، تأتى قصيرة وأظنها فقط لسؤال واحد معاد!

- هل الحوالة الشهرية وصلت؟

- عاوزين حاجة كمان!

كانت صورة أبى تترى أمام عينى الدامعتين، أختنق من ضيق حجرتى الواسعة، أشعر بجدرانها تقترب منى، وسقفها يقترب، تضغط علىّ ضلوعى، أختنق يعلو صدرى وينخفض، ينقبض صدرى، تفيض عيناى بالدموع، أجرى خائفة، ألوذ بصدر أمى، تدفعنى بجفاء، وكانت هى ما تزال تهامس التليفون فى حديث، أظنه لن ينتهى أبداً.

أمام انشغال أمى عنىّ، تحجرت الدموع فى عينى، الضبابة الدمعية تحجب الرؤية عن إنسان العين، فتراكمت أمام عينى أحزان على أحزان.

هل وقفت طويلا أمام أمى أستجدى عواطفها؟

حين لفت نظرها وقوفى الشارد أمامها، تأملى معانى همساتها، نظراتى الفاحصة لقسمات ملامح وجهها، التى

تفيض سعادة وهناء مع كلامها الهامس، توقفت فجأة عن الكلام، وكأنها لم تراني من قبل:

- عايزه حاجة يا دعاء!

- بتكلمى مين يا ماما؟

- ده خالك حافظ!

- هو حقيقى خالى يا ماما، يعنى شقيقك؟

- ليه بتقولى كده يا ديدى!

- علشان أحياناً كثيرة تصرفاته مش بتعجبنى!

- زى إيه!

- أحيانا يحضنى جامد قوى، ويبوسنى بطريقة....

- مستحيل يا ماما يبقى أخوك ويعمل كده...

- وبعدين هو مش عايز يتجوز ليه لحد دلوقتى!

- هو عاوز منك إيه يا ماما، ده تقريبا شبه ساكن عندنا....

- عيب يا ديدى ده ابن خالى!

أخرج من غرفة أمى، دامعة العينين، وألوذ بغرفتى، احتمى بذكريات أبى، أحتمى بحبى الوليد لك يا أستاذ جميل!

متى تعرف أنك امسيت أمنى وأمانى، سندى وملاذى؟

ومتى تتفهم حاجتى الملحة إليك؟

آه يا قلبى الكليم! آه يا عمرى الحزين!

هل عرف النوم طريقه إلىّ؟

كم رأت غرفتى مدى حيرتى وقلقى!

هل أكتب لأبى؟ هل أعترف إليه بشكوكى؟

يارب خُذ بيدى، أتناول كراسة الخطابات الملونة!

أمسك بقلمى، الصفحة مليئة بصور القلوب، وحمامات السلام، وعصافير الحب، أزهار الحب، بلونها القانى، ورائحتها النفاذة، تكاد تنطق بآيات الحب!

فهل هما يعرفان الحب؟

مستحيل إن الحب وفاء للحبيب، وإخلاق وتفان فى المحافظة عليه، تهش وتفرح بالحبيب إذا حضر، وتحفظ حقوقه إذا سافر أو غاب!

أمسك قلمى! أكتب بكل جوارحى، نبضات قلبى؟

عزيزى أبى وحبيبى........

دموعى تكتب عذاباتى، وحيرتى، قلقى، القلم يقف عاجزاً أن يكتب آهاتى...

بالله عليكم ماذا أكتب؟

هل أكتب أن أمى تخون أبى؟

ومع من؟

من تسميه لنا أخاها!

وهل نحن بلهاء إلى هذه الدرجة؟

كانت دموعى تفيض، وقلبى ينفطر حزناً على أبى؟

أتماسك أمسح دموعى بكلتا يدى أكتب بيد مرتعشة وعين دامعة.

عد يا أبى، لم نعد فى حاجة إلى المال! إننى فى أشد الحاجة إليك، البيت الذى تعبت فيه سنوات طويلة يكاد ينهدم على رأسى، إذا كنت تحب ابنتك فعلا فعد يا أبى!

عشر سنوات سفر وغربة الا يكفى ذلك يا أبى؟

يمكننا أن نأكل فول وطعمية، يمكننا أن نغسل قديم ملابسنا وتسترنا، ولكن يا أعز الناس!

كيف أعالج عيوب ضعفى دونك، أحتاج إلى نَفَسك فى البيت، حتى ترد عنا الكلاب المسعورة، تلك التى تلبس أقنعة الأهل، وتريد أن تنهش لحمنا وتلعق أطباقنا!

عد يا أبى، فعشر سنوات تكفى، الشروخ تزداد فى دعائم بيتك، نحتاج إليك، تعيد الأمن والأمان لنا، ترد علينا الثقة فى أنفسنا، تحمينا من الكلاب الضالة والمسعورة!

عد يا أبى! فلم أعد صغيرة، بات عمرى يزحف نحو العشرين، أحتاج إليك، أشتاق إلى صدرك، تهدهد عواطفى، تضمنى إليك، أتوسد يدك، حتى يعرف النوم طريقه لى، حتى تعرف الطمأنينة نفسى، فتهدأ وتستريح عد يا أبى، قبل أن أضيع، أقف على حافة الهاوية والبيت يمتلىء بالشروخ، والغراب ينعق فيه ليل ونهار، يبث سمه فى أذن أمى، ونحن ضعاف يا أبى، الوحدة قاتلة، والبرد يعصف بجدران بيتك.

عد يا أبى، ملعونة الفلوس، نحتاج إليك، أستغيث بك فهل فهمت؟

هل عرفت الراحة عقلى وقلبى؟

وهل هدأت ثورتى بعد الكتابة لأبى؟

وهل استراح عقلى عندما وقفت على حقيقة من يلبس القناع الزائف؟

نعم.. هدأت نفسى كثيراً، واستراح عقلى الذى كان يرفض تصرفاته.

فكيف يتقبل عقلى؟

أن يغازلنى خالى، يفاجئنى فى غرفتى وأنا أبدل ملابسى، يحتضننى من الخلف وأنا نصف عارية، يتسلل إلى غرفتى يحاول أن ينام بجوارى، يهاجمنى بقبلات مجنونة..

أنام فى غرفتى بعد غلق الباب من الداخل، أترك النور مضاءً!

فالأمان فى بيتنا بات ضعيفا عزيزاً ألوذ بدفء البطانية، أحتمى بها من صقيع الليالى الباردة، والذكريات الموجعة، أمد يدى، أجذب المخدة الثانية، تتمدد بجانبى، أحضنها بيدى وقدمى، أقبّلها بعنف، أحضنها بشوق، أصافح المكتوب عليها:

«تصبح على خير يا جميل»

أشعر بمذاق جديد للجملة، والسحر الآخاذ لآخر كلمة، والتى باتت تحمل عندى مدلول الاسم أكثر من مدلول الصفة.

هل تذكرت الأستاذ جميل؟

وهل يمكن أن أنساه حتى أتذكره؟

جلست إلى المكتب مرة أخرى، طالعت الأوراق الملونة بأزهار الحب والربيع، ملأت صورة الأستاذ بالصفحة، تأملت ابتسامته، وبدأت الكتابه إليه:

عزيزى الأستاذ جميل...

كم أفتقدك أيها العزيز الغالى!

لم أعد أتحمل الحياة بدونك، الحياة أنت كلها، كم أحتاج إليك!

أحب فيك الشموخ، السمو، الأخلاق، الترفع عن الصغائر والتى يقع فيها بعض المدرسين، مع اللاهيات من البنات، لكنك كبير شامخ مثل نخلة.

أحب فيك الأمل، أتطلع إلى يوم يجمعنا، بيت يضمنا! غرفة تأوينا وتحمينا.

متى تطرق بابى؟ ومتى تلبى نداء قلبى؟

مد يدك، أحتاج إلى طوق النجاة، أنشد فيك الخلاص، اطرق بابى، كَسِّر الحواجز، حرر القيود، ملاذى أنت وحضنى ونشيدى، نشيد الخلاص.

4

يوميات مدرسة البنات

يوم رانيا

"أيتها العرافة المقدسة

جئت إليك.. مثخنا بالطعنات والدماء

أزحف فى معاطف القتلى وفوق الجثث المكدسة

منكسر السيف. مغبر الجبين والأعضاء

أسأل يا زرقاء

عن فمك الياقوت..

عن نبوءة العذراء

عن ساعدى المقطوع..

وهو ما يزال ممسكا بالراية المنكسة"

(أمل دنقل)

فى طابور الصباح، فوجئت بعينى رغما عنى تنظر إليه، تتعلق به، وحين التقيت بعينه، أحسست كم هو حنون وعطوف، فأشار لى وأعطانى جريدة الصباح، صوتك قوى، ها تقولى الأخبار فى الإذاعة المدرسية، اتفضلى هناك مع البنات، ومشيت بدون كلام، وكنت ما أزال أنظر إليه، إلى أناقته الواضحة، ومشيته الملكية، وطريقة نطقه للكلام فى الإذاعة المدرسية، تشعر كم صوته حنون ودافىء وودود .... تشعر وكأنك تعرفه منذ زمن بعيد، ويخيل إليك أنه قادم من سفر بعيد، ويجب عليك أن تصافحه بحرارة وود قديم..

لا أدرى لماذا أحسست بالفرحة والحزن معا؟

لكنى فى الطريق إلى الفصل سألتنى ولاء:

- إيه، مالك، ماذا حدث؟

وجلست أبحث فى رأسى عن إجابة سؤال ولاء وأعدته ثانياً:

- ترى ماذا حدث؟

كنت أبحث وأفتش عن إجابة دون جدوى، وفجأة رأيته، مهيباً، طويلاً، شامخاً يقف أمامى، فأخذتنى المفاجأة، ولكن ولاء ضربتنى ببوز حذائها وشدتنى واقفة.

وكانت الحصة الأولى التى عرفنا بنفسه وتعرف علينا، واحدة، واحدة ويوما بعد يوم، أدمنت النظر إليه والحديث

إليـه وكنت أنتظر حـصـصـه بفـارغ الصـبـر، أناقـشـه، اسـأله أسـئلة خـاصـة وخـارج المنهج، وكـان رقـيـقـاً، باسـمـا، يناقش السـؤال المطروح بود، وعنـده مـقـدرة كـبـيـرة أن يجـعل هذا السؤال قضية عامة وكثيـراً ما كان ينتصـر للمـرأة، أشعر وهو يتحدث عنها برعشة فى شفتيه، يتغير صوته، تلمع عيناه ويتكلم عن المرأة بشىء من القـداسـة فـهى الأم والصـديقـة والحبيبـة، تشعـر أثناء النقاش كأنه فيلسـوف، يقول الحكمة، ويحـفظ القـرآن ويؤكـد كـلامـه بأحـاديث الـرسـول وينتـهى بأبيات شعرية جميلة، ترى هل أحببته؟

قلت لنفسى، تمهلى، أين أنت وأين هو؟

أستاذ، ذو شـخصيـة مهيبـة، قوية، وعقل كبير، وفلسفة واضحـة، وأنت تلميـذة عنده فى الفصل، ابعدى هذه الأفكار عنك!

حـاولت، وحاولت أن أطلعه من دمـاغى، ولكن مع الأسـف، وجدته عشش فيـه، وكنت أضبط نفسى وأنـا أقلده فى قراءة النصـوص الشـعرية ورسـمت لـه صـورة بالقلم الرصـاص فوق قصـيدة صخـرة الملتقى، وكثيـراً ما وجدت نفسى جالسة معه فوق هذه الصخرة، وتلتقى يدى بيده، و........

وجدتنى مشـدودة إليه، مبـهورة به، أحس بنفسى حـين يجـمعنا الطابور، أو الردهة، أطيـر من الفـرح، وحـين يغلق

الفصل علينا، أتخيله فارسى المنتظر، يغلق حجرتى علينا ويأخذنى بين يديه ويضمنى إليه، ويقبلنى، و......

كنت أعيش معه حياتى كاملة، طوال اليوم الدراسى، وفى الليل وبعد الحمام الدافىء، كنت أرخى شعرى، وأفك رباط الروب الوردى بعد التأكد من غلق الباب ومن الداخل، أعطر الجو، أنثر العطر على حواف السرير، وأجلس أنتظر قدومه الليلى مع ثوب الأحلام، اشعر به أرى أثر قبلاته فوق شفتى المتورمتين بحمرة قانية.

فى الصباح المدرسى، أجرى إليه، يراجع لى عناوين الأخبار بصوته الحنون، وكأنى أراجع معه تفاصيل لقاء البارحة، وأشعر بألم لذيذ يكسّر جسمى ويدك عظامى..

ترى هل كان يعيش معى حقيقة أم أنه حلم العذارى؟

هل أحدثكم عن يوم الثلاثاء؟

إنه يوم من عمرى الحقيقى معه، إنه القدر الذى رتب كل شىء، كانت الميكروباص تقف على ناصية شارع المدارس، وكنت جالسة فى المقعد الأخير بجوار الشباك، أنظر للنيل، ووجوه العابرين، وفى انتظار اكتمال الركاب، رحت أتابع عشاق النيل وكأننى أرى الهمسات، وأسمع لمس الأصابع بالشوق والحنين، أراهم، اثنين، اثنين ولا أعرف لماذا رحت اتخيل نفسى، أسير بجواره على النيل، متشابكى الأيدى

والهمسات والآهات، أجلس وألتصق به حين تؤلمنى رجلى، وتأبى على المشى الكثير، ياللمفاجئة، حين تحركت السيارة، وجدته يجلس بجانبى ينظر إلىّ، يتأملنى، مبتسماً، فوجئت به بجانبى يشاركنى أحلامى، هل أصدق نفسى؟ أم ترانى مازلت أحلم!!؟

خبطته برجلى، لكزته بكوعى، فى محاولة منى للتأكيد أنه بجوارى بانكسار الأنثى وجوعها للرجل الذى تعشقه نظرت إليه، هل نظر إلىّ بدهشة؟

لا أدرى، لعلى قلت له دعنى أتأكد أنك بجانبى!

ربما كل الذى أتذكره الآن:

أننى التصقت به أكثر مما يجب، حين تماست ساقى بساقه سرت القشعريرة الجميلة تخدرنى بألفة عجيبة ساحرة، كدت أضع رأسى على كتفه، وكأنى أريح عذاب الليالى الطويلة، التى أثقلت رأسى، وحتى تسكت، ولو قليلاً، المطرقة التى تدق على رأسى مثل ساعة الحائط، وتسللت يدى لتنام فى حضن يده الدافىء.

هل قال لى معاتباً؟:

- ما هذا، الناس، ماذا تفعلين؟

أجبته ودون تردد:

- إيه بسلم عليك، مش حقى!

- ده مش سلام.. دى شقاوة وشيطنة.

- أبداً والله، ده أنا غلبانة خالص..

هل كنت أحلم، لا أتذكر!؟

كل ما أتذكره أننى كنت مشتبكة معه بيده أسفل الجريدة التى كنت أتظاهر بقراءتها معه، وساقى تلتصق بساقه، فى نشوة غريبة ولحظات أحسبها الآن من أجمل لحظات عمرى معه!

ولكن الذى أيقظنى من هذا الحلم الجميل صوت ارتطام قوى واصطدام الميكروباص بالأتوبيس الذى وقف فجأة فأطاح بالأحلام بعيداً، ووجدتنى أجلس وحيدة فى المقعد الأخير.

هل عرف النوم طريقه لى هذه الليلة؟

هيهات، هيهات، رجعت إلى البيت وأنا أرقص فرحا، أحتضن حقيبتى المدرسية، كأننى أضمه إلى صدرى، وأضغط بعنف على يدى، أتلمس دفء يده، وأعجب من ذلك المخدر اللذيذ والعجيب الذى سرى فى دمى، ومنحنى كل هذا الفرح!

حتى الدش البارد، الذى تعاركنى أمى عليه، عندما تقول استحمى بالميه السخنة أحسن، لم يفلح فى تهدئة ثورة جسدى المتوهج بحرارة اللقاء ولا أدرى لماذا كنت أشعر بلذة

جميلة وأنا ألامس تضاريس جسدى المحمومة، وجدت شفتى جمرتين، أشد من لهب عم عبده الذى يفترش ناصية شارعنا، ليشوى لنا كيزان الذرة، ووجدت صدرى نابضا بالدفء، مشتعلاً بثورة الدماء المتدفقة، ولم أشعر بساقى بعد أثر خدر الملامسة..

- تناولت الطعام؟

- هل تحدثت مع أمى!

كل ما أتذكره أننى كلمت أمى بصوت خافت:

- أنا داخله أنام، ماحدش يصحينى.

وابتسمت فى سرى وحمدت الله أن أمى لم تنجب بنتاً أخرى تشاركنى فى غرفتى الأثيرة، وملاذى الآمن، ودفتر ذكرياتى.

حين وضعت رأسى على الوسادة، اشتعلت داخلى مرة أخرى حزمة الأسئلة:

- لماذا؟

- كيف؟

ورحت أناقش الأمر بصوت خافت:

- إنه نجم عال جداً، وأنت لاتقدرى الوصول إليه، أنت فتاة مراهقة..

- كلا لم أعد صغيرة، إننى إنسانة ناضجة، لقد كبرت، سنة وأدخل الجامعة!

- لكنك مازلت تتصرفين كمراهقات الإعدادية.

- لا إنه يتكلم معى كفتاة ناضجة..

- إنك تخدعين نفسك، إنه لا يشعر بك، إنه يعرف مثلك العشرات، بل المئات، أنت واهمة.

إنه لى وحدي..

- وهل نسيت الإشاعات التى تملأ المدرسة وحكايته مع نجوى ودعاء وهناء حسين، غداً تصبحين واحدة فى قائمة جميل!

- هل فزعت؟ هل حقا يعرف غيرى؟

ورحت أصدق نفسى وأناأهمس قائلة:

- إنه وهو معى يشعر ويحس بى، إننى أقرأ حبه لى من نظرات عينيه، نعم إنه يبادلنى الحب!

نمت على أمل أن يأتى فى الأحلام ولا أدرى لماذا رحت أردد مع صوت فيروز الحنون؟:

(سكن الليل

وفى ثوب السكون تختبىء الأحلام

فتعال..

فتعال، يا ابنة الحقل، نزور كرمة العشاق.

علنا نطفىء بذلك الرحيق حرقة الأشواق)

ولكنه لم يأت، وكيف يأتى وهو لم يفارقنى بعد؟

●●●

فى الصباح المدرسى، كنت أقف أطالع عناوين الأخبار، حتى هلّ علينا كعادته كل صباح، مشرقا، باسما، ملوحا بيده لكل من تقابله من البنات، ويبدأ يراجع آيات القرآن لذات الخمار، ثم الحديث الشريف، وكلمة اليوم، وحكمة الصباح والتى صممت أن أقولها بدلا من ولاء واخترت لها بيتا من الشعر المشهور عله يفهم!!

ورحت أقول بصوت قوى واضح:

لغة العيون..

إن العيون إذا تكلم صمتها

خرست لديها ألسن الفصحاء

وحين عاتبنى لماذا رفضت قراءة أخبار الصباح؟

ثم قال مازحا:

إنت أحسن من مذيعة نشرة التاسعة!

ورحت أقول فى سرى:

وأنت تبدو أعظم من رشدى أباظة فى فيلمه الأخير!

هل وعيت دروس اليوم وفهمتها؟

وجدت نفسى شاردة طوال اليوم، افكر، أحسب، لكنى فى النهاية لم أصل إلى حل يرضى قلبى!

ورحت أسأل نفسى:

إن كان لا يحبنى! فلماذا يهتم بى؟

فى الحصة الثالثة، رأيت غضبى يتبخر، حين تبادلنا النظرات وضحكت وابتسم لى وسلم علينا وراح يشرح درسه اليومى، ونحن نضحك فى السر، ورحت أقول لولاء:

- انظرى إنه يبدو طفلا وهو يضحك، ويبدو أصغر كثيراً مما نتصور!

وجلست أستمع إليه وأتابع قراءاته الجميلة، والتى أحبها منه ويعجبنى كثيراً خجله الجميل، حين تسأله إحدى الطالبات، ثم أراه يتكلم قريباً وبعيداً حتى يتهرب من السؤال!

يالجمال هذه اللحظات الجميلة التى يبدو فيها كالطفل البرىء والخجول وكالعادة تمر الحصة فى ثوان قليلة، وترانى أتابعه فى الردهات مع الموكب الذى يسير معه من الفصل لحجرة المدرسين أو لجلسته المعتادة فى حديقة المدرسة، إننا أكثر فصل تعلقا بالأستاذ جميل..

هل لأنه رائد الفصل؟

أم لأننا بكينا أمام مديرة المدرسة، عندما حاول أن يتركنا لمدرس آخر، فلقد ذهبنا كلنا ودون استثناء وقلنا لها:

ـ من فضلك الأستاذ جميل من أعظم المدرسين، وأشرف الأساتذة، ولو حضرتك صحيح فيه شكوى من فصل ٣/٣ احنا حضرتك كلنا هنا، اقفلى علينا الباب، وقولى مين البنت صاحبة الشكوى!

ـ يا أستاذة ممكن قوى أى بنت تكتب أى كلام وتوقع باسم أى حد، احنا ها نجمع كراستنا وممكن نشوف خط مين..

ـ من فضلك احنا طالبات فصل ٣/٣ ومتمسكين بالأستاذ جميل ونرفض الإشاعات والشكوى اللى مكتوبة باسمنا.

هل فرحنا وطرنا من الفرح؟ ونسيت هبه نفسها وأطلقت زغرودة، حين وقعت المديرة على الشكوى بالقلم الأحمر:

ـ تحفظ الشكوى لعدم جديتها.

نعم أحب الأستاذ جميل حين يشرح، وحين يلقى كلمة الاذاعة، وآه من صوته الرخيم الجميل حين يلقى قصيدة شعرية، تراه يأخذك بعيداً، يحلق بك فى ملكوت السموات العالية، يهبك جناحين، تفردهما وتطير بهما، إن صوته يعلو وينخفض، يقوى ويضعف، يزأر ويرق لينقل لنا إحساسه الصادق بالكلمات فى حديقة المدرسة، أراه الآن يجلس مع الأزهار، سعيداً بحديثه إليها، وحين رآنى أقف مرتبكة،

سألنى:

- فيه إيه!

أصلى بكتب خواطر، شعر، مش عارفه وعاوزه:

- مافيش مشاكل، هاتى يا عفريتة علشان أشوف آخرة الشيطنة..

- بس عندى اقتراح.. حضرتك تقرأ فى البيت..

وكعادته انفلت سريعا من بين يدى، وراح يقلّب فى كراستى الصغيرة، وأخذ يلوح بابتسامته ويقول بعينيه اللامعتين:

- باى، باى، أشوفك بكره!

وأخذ يقرأ:

النسمة السندسية

يا قلب، قد غلبك الحنين

وفاضت منك الأشواق

يا نفس

تأهبى وأجيبى!

هل تصمدين أمام هذه النسمة السندسية؟

وهل غدا يحمل بعض الأمل؟

ما يزال فوق الشاطئ يراقب الأمواج

يراودنى حنين العاشقين فى موكب الأحلام

لكننى أخشى!

أخشى أن لا يبقى لى سوى لحظة حب

ذابت على وجه السنين

وتفرقت على آهات الأنين

أخشى

أخشى أن تفرغ الكئوس المليئة بالأشواق

فلا يتبقى لى سوى الأنين

وأخشى أن يفر من أوكارنا حمام السلام

خوفا من رصاص الحاقدين

خوفا من ظلام الجاهلين

لكننى أراك بدراً فى هذا الليل الحزين

●●●

حين امتلكت وعيى، وأدركت نفسى، وجدتنى أسأل نفسى ماذا حدث، وماذا يحدث لى؟

أحسست أننى لا أسير على الأرض، بل أطير فوق السحاب، إنه الآن يقرأ أفكارى وخواطرى.

هل يشعر بحبى له؟

وهل يفهم أنه أصبح كل حياتى؟

فى هدأة الليل، والنسمات تداعب الستارة الوردية، زارنى الأستاذ جميل، أستقبله استقبال العشاق الفاتحين، بالعطر الباريسى الآخاذ، بقميص النوم القصير جداً والمثير جداً، بالشعر الناعم الطويل، قبّل يدى، لمس خدى، شفتىّ، قبلنى وقبلته وجلس على حافة السرير، يتأمل جسدى الفوار بحرارة الشباب، وحين رآنى أداعبه يمينا ويساراً، سألنى: هل تجيدين الرقص؟

رقصت نصف عارية، رقصاً أحلى من رقص سامية جمال، دنوت منه ضربته فى كتفه، دفعته فى صدره، فوقع على السرير، جذبنى إليه، وأمطرنى بقبلاته الحارة، وأحضانه الدافئة، وفرد لى ذراعه وسادة لأنام عليها، وأخذ يتأمل عينى وأصابع يده تعبث بشعرى، ثم انزلقت إلى ظهرى، وأحسست برعشة خفيفة تسرى فى جسدى، شجعته على المزيد، تحسس خاصرتى الملتهبة، ثم صعد ثانية إلى صدري وضغط عليه، فكان طازجاً، فائراً يمتلىء قوة ونضارة، وجذبنى إلى صدره، ووجدتنى ألف يدى على رأسه وشفتى فوق شفتيه وكانت ما تزال أغنية فيروز تتردد وتملأ سمعى:

«علنا نطفىء بذلك الرحيق، حرقة الأشواق».

حين أيقظتنى أمى، غضبت منها وتمنيت أن أكمل ما كنت أحلم به.

فى الصباح، لا أدرى لماذا رأيت الأستاذ جميل صموتا، حزينا، رأيته يراجع البرنامج الاذاعى على عجل، لم يمزح كعادته، لم يتبادل الابتسامات والتحيات مع بنات الإذاعة أو بنات الصفوف الدراسية، رأيته متحفزاً على غير عادته، ورأيت ضيوفا من الرجال يقفون أمام الطابور..

هل هم مفتشون من الوزارة؟ أم موجهون من الإدارة؟

لكن المقلق حقا أن تفاصيل وجه الأستاذ جميل تحمل كثيراً من الحزن، وبعضا من القلق.

نعم، لا يمر أسبوع ويأتى لنا الموجهون والمفتشون، ولكننا كنا نرى الأستاذ يرحب بهم، ينادى على واحدة منا قائلا:

- نادى على العاملة، خليها تعمل قهوة مضبوطة، وتجيب اثنين حاجة ساقعة، بعد تحية العلم تحرك الطابور، كان المفروض أن يتحرك معنا الأستاذ جميل فهو صاحب الحصة الأولى، ولكن المديرة لحناها تهمس له ببعض الكلمات، وهو ما يزال صموتا، حزينا، يومىء برأسه ولا يتكلم، فى الطريق إلى الفصل، كانت همسات البنات، تعلو وترتفع، دقائق ودخلت علينا المديرة ومعها ثلاثة من الضيوف.

وقف أكبرهم سناً، أخذ يتكلم كثيراً على الصدق

والكذب، وجريمة شهادة الزور، وأهمية قول الحق ولو كلف ذلك حياة الانسان، ثم أخذ يتحدث عن أخلاق الأستاذ جميل، وعلمه الغزير، إلا أن طالبة من فصل ٣/٣. قدمت للإدارة تشكو الأستاذ، وتتهمه بالتقصير فى الشرح أثناء الحصة، وأنه كثير الخروج عن المنهج، وأنه يجبر الطالبات على الدروس الخصوصية.

ساعتها هاج الفصل وماج وزاد غضب الطالبات، ووقفن جميعا نرفض الاتهامات، نؤكد أن هذه الشكوى، إن كانت هناك شكوى أصلا فهى ليست من ٣/٣.

غضب المفتش وانفعل قائلا:

. هل هذا ما تعلمتم من آداب الحديث مع الأستاذ جميل.

ـ من فضلكم طالبة واحدة تقف وتجيب على الأسئلة.

ووجدتنى أصرخ قائلة:

ـ أنا يا أستاذ، بس يا بنات، أنا حاصلة على مجمو ٩٧٪ والسنة اللى فاتت كان الأستاذ جميل مدرسى فى فصل ٣/٢، والسنة دى كمان، أنا متفوقة قوى فى مادته وحاصلة على مجموع أكثر من ٩٧٪ فى مادته، أرفض كل الكذب والإشاعات التى جاءت فى الشكوى وأنا أؤكد لك يا أستاذ أن الشكوى دى مش من فصل ٣/٣.

الأستاذ جميل أستاذنا من سنة أولى، ومن حوالى أربعة أيام قلنا للمديرة نجمع يا أستاذة كراستنا وشوفى خط مين صاحبة الشكوى وعلى استعداد لجمع الكراسات والكشاكيل.

ورد الأستاذ وهو يهز رأسه، عاوزه تقولى حاجة كمان!

. نعم يا أستاذ أقول لسيادتك أننى أعتمد على شرح الأستاذ فى الحصة وهو كاف جدا وزيادة، ثم قلتها عالية وبانفعال شديد:

. وعلى فكرة يا أستاذ أنا ما خدتش دروس بره عند الأستاذ جميل.

لا أدرى سبباً لهذا الانفعال الحامى فى الدفاع عن الأستاذ، ولكن التصفيق الحاد من الطالبات، وحرارة كلماتى أقنعت المفتشين بكفاية كلمتى، صحيح سألوا كام بنت بصوت هامس من الصفوف الأمامية، ولكنهم خرجوا سريعاً من الفصل.

وعاد تصفيق الطالبات مرة أخرى إلى الفصل.

واندفعت الطالبات تقبلنى هذه وتحتضننى تلك، وأكدت لى ولاء قائلة:

يخرب بيتك، إنت محامية شاطرة قوى!

قلت بصوت عال:

- إيه احنا بنلعب، احنا تربية الأستاذ جميل.

حاولنا إبلاغ الأستاذ بما حدث؟

لكن الأستاذة وكيلة الدور، نهرتنا وصرخت فينا ولأول مرة:

- ادخلوا الفصل يا شوية مصايب، ياعينى عليك يا أستاذ جميل.

مع جرس الفسحة، تسابقن إليه كى نحكى له ماذا قلنا وكيف واجهناهم؟

لكن الأستاذ مش موجود، أغمى عليه، ونقله الأستاذ إمام فى سيارته لإسعافه.

هل صرخنا، كم بكت البنات؟ بالتأكيد عم الحزن والألم المدرسة كلها!

عدت من المدرسة، باكية، حزينة، كسيرة القلب.

دخلت حجرتى، رميت الشنطة طوحت الشوز، ألقيت بنفسى على السرير، تقلبت، شعرت بالصداع يشق رأسى نصفين، قلبى يدق بسرعة، صدرى يعلو ويهبط سريعا، أختنق، أفتح الشباك، أملأ صدرى بالهواء البارد لا فائدة.

كانت حجرتى حزينة، ولأول مرة شعرت أن الستارة تقف منكسة الرأس، صامتة، لا تلعب مع هواء الشتاء البارد.

اتسعت عيناى، أحدق فى الصورة الملونة الكبيرة، لطفل ضاحك باسم، تأملت عينى الطفل، شاهدت الدموع تملأ عينيه، الابتسامة رأيتها تقف ذابلة على شفتيه، أشعر أن الهواء ساكن ومقبض، أخرج من الحجرة ألوذ بالبلكونة.

السماء الصافية ابتلعتها السحب الداكنة، هدوء الهواء انقلب فجأة إلى عواصف، «زعابيب» أمشير، امتلأ الجو بالعواصف الترابية.

تراجعت إلى الداخل أفرك عينى، أغلق شيش البلكونة، أضع يدي على جبينى المحموم، أتحسس رأسى المشتعل بالصداع، أسير فى الصالة الواسعة.

أتأمل الأنتريه المزركش، المعد للضيوف أتذكر ثلاثة شهور، لا أحد طرق علينا الباب، ولا أحد زارنا فى شقتنا!

أتذكر أخر مكالمة لى مع أبى، يمكن شهر أو يزيد، أتذكر كلماته؟

- سامحينى يا ابنتى، كل اللى حصل كان غصب عنى!

- مش هاقدر.. بيتى مفتوح لك بالليل قبل النهار.

- عاوزه تعيشى معايا أهلا وسهلا، تحبى تقعدى مع مامتك براحتك.

أتمزق، قلبى ينفطر على أمى، حاولت كثيراً أن أفتح هذا

الكتاب المقفول، أن أقرأ سطوره، لكنى أقف عاجزة أمام كبرياء أمى!

أحاول كثيرا إثارة أمى:

ـ يعنى بابا رجل وحش وظالم..

أرى عينيها الذابلتين، تنظران للبعيد، تهز رأسها وتؤكد:

ـ لا يا رانيا.. أبوك رجل فاضل.

أقول بغيظ:

ـ طيب قولى، إيه السبب؟

اشاهد أمى والدموع تفيض على خديها، أجرى نحوها، أحضنها، أبكى معها، تضمنى إلى صدرها، تربت على كتفى وتقول هامسة:

ما فيش نصيب يا ابنتى.. العند!

تبتلع شهقتها المكتومة وتكمل:

ـ العند.. العند خراب البيوت!

هل وقفت فى الصالة طويلا؟

مسحت دموعى، جلست للتليفون، طلبت الأستاذ جميل فى بيته، الجرس الطويل يؤكد:

ـ لا يوجد أحد.

انظر إلى ساعة الحائط، العقارب تشير إلى الثالثة، أسير فى الصالة، أدخل المطبخ، أعود للصالة، أدخل غرفتى، ينقبض صدرى راسى تدور، أعود للصالة، أتأمل عقارب الساعة مرة ثانية وأؤكد لنفسى:

ـ ساعتان وماما ترجع من الشغل.

صوت أمى يرن فى أذنى:

ـ يا رانيا يا حبيبتى، شغلنا فى البنك مالوش مواعيد ثابتة، يمكن خمسة، سبعة، تسعة.

ـ تعذبى نفسك ليه يا حبيبتى.. أول ما ترجعى من المدرسة اتغدى أنت!

ـ ولم يحدث أبداً، فدائما أنتظرها على الغداء، لأنها أمى، ولأننا وحيدتان فى البيت.

طلبت الأستاذ مرة ثانية، ما يزال الجرس الطويل، يرن وكأنه يعاندنى!

نمت وصحيت، وجلست ووقفت، مشيت ورجعت، فتحت كل الغرف وقفلتها، ولا فائدة، القلق يزداد، وضربات القلب تسرع، ورأسى تدور، أجلس صدرى يضيق، قلبى ينقبض، والانتظار قاتل، والوحدة وحش مفترس.

هل أبكى؟

وهل أحب الأستاذ جميل كل هذا الحب؟

ولماذا كل هذا القلق والحيرة والخوف؟

هل أصابه سوء؟

أخيراً طلبت ولاء!

. ما فيش أخبار عن الأستاذ جميل!

. مافيش، كل البنات اتصلوا، ولا أحد بيرد!

. ده أكيد الدرس لازم يتأجل!

. صدقينى! لو عرفت حاجة، أبلغك حاضر!

لا أدرى لماذا؟ شعرت بحاجتى إلى حمام سخن!

هل وقفت طويلا تحت الدش السخن؟

لا أعرف سببا للفرح الطاغى، الذى شملنى وأنا الامس التفاصيل الأنوثية.

الصدر مشتعل بثورة الشباب، الردفان مشدودان، ملفوفان فى تناسق بديع، البطن ضامرة، الخصر نحيف، قطرات الماء تداعب خصلات الشعر الناعم الطويل، تفاح الخدود نضج وأثمر، وحبة الفراولة التى طابت وانقسمت على الشفتين تناديك:

يا أنيس الليل الطويل!

أين أنت؟ وماذا أصابك؟

لا تتركني وحيدة. إنني أعتني بنفسي من أجلك!

أصون نفسي حباً لك، أهدهد أشواق ليل الوحدة، انتظاراً لك!

أسكت عن كلام المديح، في الشارع، في السوق، من أخوة الرميلات، حتى أسمعه منك. أسكت عن الهمسات التي تقولها، ولاء، نجوى...

أعرف وأسمع ولكن لا أصدق!

هل تعرف لماذا؟

لأني أحبك!

الزهرة أينعت، وطابت أين انت ياروح الروح!

شجرة الحب اثمرت، تفاحاً، ورماناً وفراولة.

ومائدة الحب تناديك، أنت أول يد، تلمس أول قطعة فأين ذهبت؟

عد ياروح الروح! قلبي يناديك. وعقلي يستغيث بك. جوارحي تشتاق إليك، عيناي ظمآنه لرؤيتك، تريد أن تشبع منك

تفاصيل الجسد ثائرة من أجلك. اسمك ورسمك دم امتزج بدمي

انت الأهل، الصــاحب والصــديق! الأخ والرفــيق، الأب والحبيب!

يا زهرة عمرى وشمس حياتى لاتتركنى وحيدة!

هل عمنى الفرح الطاغى بالدش الساخن؟

هل حلقت طويلاً فى حديقة الذكريات؟

جلست فى غرفتى أمشط شعرى، أدير الكاسيت، ينساب صـوت عبـدالحليم يشـدو بالعـذاب والحب والألم! وجـدتنى أردد :

مسكين يا حليم كم تعذبت وكم يتعذب المحبون!

احلق فى سمـاء الغرفة، أغمض العينين، أسبح فى اللحن الجميل، أردد :

- اهواك، واتمنى لو انساك، وانسى روحى وياك!

اتارينى بانسى جفاك واشتاق لعذابى معاك!

اضم يدى على صدرى، أرقص فى الغـرفـة، أدور، أحلم، أحضنه، يحضننى يضمنى إلى صدره يقبلنى، يضغط علىّ، يجـذبنى إليـه أغـيب عن الوعى، تتكسـر ضلوعى لا يهم، ترتعش أطرافى بين يديه لا أبالى! أشـعـر بفـقـرات ظهـرى تطقطق بين أحضانه لا أهتم!

يسـرى الدفء فى دمى، تشـتعل ثورة جسـدى، التحم

بالجسد الحى، الحضن يضمنى أكثر وأكثر، أصابع الليالى الباردة، أنسى الوحدة القاتلة، افتح عينى فجأة، أجدنى فى أحضان أمى!

بعد الغذاء قررت زيارة ولاء، ربما لأخفف قليلا عن نفسى المتعبة.

فى الطريق إلى ولاء، أحسست بالبرد يهزمنى، ألمس أطرافى، أجدها باردة، توقفت فجأة هززت رأسى، عكست إتجاه السير.

الابتسامة الصافية تعيد ترتيب ملامحى، أحتاج إليه الآن أكثر، ضمة منه تكفينى، قبلة منه تروينى، كانت قدماى تدبان بنشاط عفى، أشعر بهما يهرولان، عيناى تتسع تفرح به، ذراعاى جناحان يخفقان فى صمت، كأنهما يستعدان للحضن الكبير، رعشة خفيفة تعم أعضائى، أرتجف كعصفورة صغيرة، نسيتها أمها فبللها المطر، راحت تبحث عن حضن دافئ يأويها، يحميها من برد ومطر الشتاء، خوف يعتصرنى بشدة، دموعى تفيض كدموع طفلة تاهت فى مولد السيدة زينب، وقفت تبكى انشغال الأم وفقد الأب.

الدموع الساخنة تقطر فى صمت، أسرع إليها امسحها خجلاً من العيون المفتوحة، بطرف المنديل حيناً، وفى أحيان كثيرة أمسح دموعى بكلتا يدى، حينما يشتد فيضان الدموع.

درجات السلم الكثيرة هدهدت نفسى، والمنديل الورقى عالج رشح أنفى على مرتين، مسحت دموعى، عدلت خصلة شعرى، نفضت عن رأسى همومى، أزحت أحزانى عن صدرى قليلاً، رسمت على شفتى ابتسامة عريضة حين طالعت البرواز المذهب، والخط الجميل الذى ينقش اسمه.. على باب الشقة عمنى الفرح الطفولى، أحسست بزهو كبير، بفخر لمست حروف اسمه، أخرجت منديلاً نظيفاً، نسيت أحزانى ودموعى، قفزت عالياً، كعصفورة صغيرة وجىء إليها بالزاد، أتخيله، يجرى نحوى، يفتح ذراعيه يضمنى لحضنه، يمطرنى بقبلاته، يمسح على شعرى، أنام على كتفه، يحملنى بين ذراعيه، يرفعنى قليلاً، يدور فرحاً بى، أكلمه، يكلمنى، ينفرد بى، يضمنى إلى حضنه ليال كثيرة، كى أرتوى من فيض حبه الكبير عانقت حروف اسمه.. فرحة ضغطت على جرس الباب، فتحت الباب فتاة صغيرة، منكسرة، ملابسها قذرة، نظرت إليها بأسى وشفقة، أفزعتنى الهالات الزرقاء والسوداء حول عينيها وتحت أذنها..

- عاوزه مين حضرتك؟!

- بابا موجود..

- حضرتك ست رانيا. . اتفضلى

- شكراً يا حبيبتى..

- هل جلست فى الصالة طويلا؟

بعد قليل، جاء مصطفى، وقف بعيداً يرقبنى بعينيه الواسعتين، ناديت عليه، أشرت له بالشيكولاته، هز رأسه رافضاً.

- تعال يا مصطفى أنا أختك رانيا.. تعال يا حبيبى!

نظر إلىّ بطرف عينيه قائلا:

- محمد أخويا بس!

لوى عنقه، وجرى للداخل، تركنى وحيدة، يهاجمنى القلق ثانية.

- بعد طول انتظار جاءنى أبى يحمل بين يديه محمد الصغير.

- أهلا يا رانيا، ازيك!

قمت إليه، كنت أود لو يأخذنى لصدره، يضمنى لحضنه، لكنه حتى لم يسلم علىّ بيده، فقد كانت يداه مشغولتين بالولد الصغير!

- عاملة إيه فى دروسك..

- قولى، عاوزة إيه!

أردت أن أقول له،، إننى فى أشد الحاجة إليه، إلى أبى، يضمنى إليه، أشرب من حنانه، أرتوى من حبه، خرس

لسانى، وشفتاى وقفتا صامتتين على باب لسانى، تمنعه أن ينطق، أن يطلب شيئاً، أرى أبى الأن يضع يده فى جيب روبه الأحمر المزركش بالألوان الزاهية، ترجع يده تمسك ظرفاً أبيض.

- خدى يا رانيا علشان دروسك!

كدت أصرخ فى وجه أبى، تمنيت أن أقول له:

- يا بابا أنا عاوزاك إنت!

أمام إلحاح أبى، تناولت المظروف من يده وأنا أبتلع دموعى والامى.

- شكراً يا بابا مش ناقصنى حاجة، ماما بتقوم بالواجب!

وضعت الظرف على الصينية المذهبة، بجانب المشروب البارد، فوق تربيزة الأنتريه، ونظرت إلى أبى أعاتبه.

كان أبى مشغولاً بمداعبة محمد الصغير، حتى أنه لم يشعر بى، وأنا أقف دامعة العينين، أجرى نحو الباب، افتحه، انسلل خارجة، وخيوط الدمع تفيض، تنهمر تغطى ملامحى، لم تفلح معها طيات المنديل التى عجزت عن الشلال المنهمر من المآقى المشتعلة حزنا وكمدا.

مددت يد تغلق الباب، والثانية تمسح دموعى تارة، وتارة أخرى تمسح وتزيح التراب الذى علق على حروف البرواز

المذهب البارد!

في الشارع، كنت أحتمى بجلد الجاكت من البرد الزاحف نحوى، أحكمت غلق الجاكيت لآخر زرار، وضعت يدى فى جيبى، أتلمس قليلاً من الدفء!

فى الطريق إلى البيت، وددت أن أعانق أمى، أقبّل يديها، أشكر تضحيتها من أجلى، رفضها الزواج، أبكى فى حضنها، اعترافاً بفضلها الكبير.

وضعت المفتاح، تسللت على قدمى، فتحت غرفتها، أجدها مع الملائكة بعد تعب اليوم الطويل، والحسابات والأرقام التى لا تنتهى!

هل وقفت طويلاً أتأمل ملامح أمى؟

كانت تنام هادئة، راضية، حلوة الملامح باسمة.

ترى لماذا طلق أبى أمى؟

أشفقت عليها، مددت يدى، أغلق الباب برفق وهدوء، جلست للتلفزيون، البرامج مكررة، الأفلام القديمة حفظتها، الأغانى الجديدة، تشعرك بالقىء، لا شرقية ولا غربية، ماسخة لا طعم لها ولا لون! من هؤلاء؟

بنات نصف عاريات، موسيقى صاخبة، كلمات بلا معنى!

أغلقت التليفزيون، دخلت غرفتى، خرجت، طلبت الأستاذ!

هل هذا معقول؟

الجـرس الطويل سكين بارد فى صـدرى! جلست إلى المكتب، تناولت كراسـة المذكرات ورحت أكتب إليـه، عـد يا مهجة الروح.

أين أنت؟

هل أدركت الآن؟ كم حاجتى إليك!

بى شـوق إليك كبيـر، لهـفتى عليك تأكل صبـرى، قلقى عليك يفر أمامه النوم، عد إلىّ.

كم أحتاج إليك!

هل عرفت انشغالهم عنى؟

لم يعد غيرك.. يسأل عنى، يشجعنى يأخذ بيدى، يضمد جراحى النازفة!

يضمنى إليه، أصالح به جفاء الأحبة!

5

يوميات مدرسة البنات

يوم هناء حسين

أيتها العرافة المقدسة،
ماذا تفيد الكلمات البائسة؟
قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار
فاتهموا عينيك يا زرقاء بالبوار
قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار
فاستضحكوا من وهمك الثرثار
وحين فوجئوا بحد السيف: قايضوا بنا
والتمسوا النجاة والفرار
ونحن جرحى القلب
لم يبق إلا الموت
والحطام
والدمار
وصبية مشردون يعبرون آخر الأنهار
ونسوة يسقن في سلاسل الأسر
وفي ثياب العار

(أمل دنقل)

هل تذكرون ذات العيون الخضراء التى أحبت الأستاذ فى الصفحات الأولى من هذه الرواية؟

- هل تعرفوننى؟

- نجوى!

حضرت هنا كى أعترف لكم، واخترت أن أصاحب هناء حسين على الورق - الفصل - كما صاحبتها فى حياتى - البيت - قصدى شقة الفرام، أنفض عنى الغبار، كى تقفوا على الحقيقة، عارية بلا زخرفة.

نعم هى الأستاذة بحكم، الخبرة، التجربة، التخطيط، شقة الغرام!

لكنى نجحت أخيراً فى مطاردة الأستاذ، سكنت عقله، طيرت النوم من عينيه، حتى يكتبنى، أو يتركنى أكتب نفسى بصراحة، ودون خجل!

ها أنا أقف بين يديكم، لم يخدعنى أحد، لكنى سعيت للحب حتى أقتل الفراغ.

هل أعترف لكم؟

تبدأ حكايتى منذ الفصل الأول - يوم جميل - كما عرفتم، أن أختى الكبيرة متزوجة فى مصر الجديدة، أبى وأمى يحبان أولادها - أحفادهما - لذلك فهما يوماً بعد يوم عندها، ويتركوننى فى الشقة بمفردى، هى نفس ظروف

هناء حسين، فأختها متزوجة فى كندا، هناء بمفردها فى شقتها، لانشغال أمها بمحلات السمك طوال الليل بعد وفاة زوجها!

لا أعرف متى بدأت الحكاية بالضبط؟

كل ما أتذكره، أننى كنت أبحث فى مكتبة بابا عن ديوان شعر، أو قصة جميلة، أبدد بها القلق، الوحدة، الفراغ!

وجدت مفتاحاً تحت كتاب قديم، عالجت الضلفة التى يحرص أبى على قفلها دوما.

ياللمفاجئة!

وجدت مجموعة من شرائط الفيديو الأجنبية، غير التى أنزل أشتريها من الشارع «للويك إند» أخذت واحداً، وخرجت للصالة، أدرت الشريط، جلست على الأرض، اتسعت عيناى دهشة.

- ما هذا؟

آووه! إنه كنز عثرت عليه، لأبدد به الملل الرتيب!

هل عرفت الآن سر غلق الحجرة على أبى وأمى، مساء كل خميس؟

فى الصباح المدرسى، كنت أجلس فى الفصل بجانب هناء حسين، وأخذت أحكى لها ما اكتشفته وعثرت عليه.

ويوما بعد يوم، كنت أجلس مع هناء، كى نشاهد أفلام

الروشنة، ونمارس الحب سويا، سعينا إلى ذلك بدافع حب التجربة، والهوس والشغف لتذوق الجنس!

نعم نمارس الحب!

كنا نتبادل أدوار الرجل والمرأة، ننام عرايا، نتبادل قبلات الفم الحارقة، نداعب حلمات الثدى، الضغط على أماكن الاثارة، حتى نشبع ونرتوى.

ضاقت الشقة بحبنا، اقترحت هناء، أن ننتقل إلي بيتها، فهناك الشقة واسعة وأمان!

الرغبة تشتعل فى الفيلم، وأنا أضغط على هناء، أطلب المزيد.

فجأة دق جرس الباب، خفت، فزعت، خطفت ملابسى، قفلت حجرة هناء علىّ، دقيقة وسمعت هناء تقول:

- تعال يا نجوى، ده أسامة صاحبى!

نصف ساعة، وكان أسامة يقوم بأول رجل حقيقى يمارس الحب مع هناء أمامى.

كنت أتابع - بدهشة وتلذذ - هناء وأسامة وكأنى أتابع الفيلم، أحسست بخوف ورعشة، وتذكرت ضياع مستقبل مئات البنات على شاشة الأفلام العربية، تسللت بهدوء، خارجة من شقة هناء، وتركتهما يرتشفان الحب.

فى حصة الأحياء، كان الأستاذ يشرح، يعيد ويزيد، والبنات يضحكن، ويتغامزن.

لكزتنى هناء قائلة:

- مشيت ليه يا جبانة!

- يا حبيبتى ده صاحبك، وبعدين مش عاوزه أخسر نفسى!

همست فى أذنى:

هناك ثلاثة أنواع من الأغشية لا تتأثر بالممارسة «المطاطى، والغربالى، والسميك».

بعد الحصة كتبت ورقة صغيرة لأستاذ الأحياء، أسأله عن الأنواع السابقة، ومدى خطورة الممارسة عليها، نظر إلىّ تفحصنى، ضغط على يدى قائلاً.

- بكره عندى مجموعة مدرسية قبل طابور الصباح بساعة، تعال قبلهم بشوية وأنا أشرح لك، علشان ما حدش ياخد باله!

قبل ميعاد المجموعة بنصف ساعة، كنت معه فى المعمل، يشرح نوعاً ويشتكى مرض زوجته، وهجرها له، وأنه بدأ يفكر فى الزواج!

ويشرح عن مهارة الرجل المتزوج فى الإشباع الجنسى، وفشل نصف الشباب!

يلمّح أنه يمكن أن يعلمنى أكثر من ثلاثة طرق لممارسة الحب دون أن أفقد عذريتى!

أقول لكم الحقيقة!

نعم كان الأستاذ يلف ويدور ويلمّح ولكنى شجعته كثيراً عندما أخبرته أننى مارست الحب مع فتاة فى البيت.

اكتفيت فى هذا اليوم أن تركته يقبلنى ويحضنى فقط......

حين سمعنا جرس الصباح، ضغط على يدى قائلاً:

ـ بكره تيجى بدرى شويه!

فى الصباح الباكر، كان ينتظرنى من شباك المعمل، صعدت إليه، أخذنى بين أحضانه، قبلنى فى فمى قبلة طويلة حارقة، سكرت معها، ودارت رأسى!

رفعنى على حجره، كشف الجيب الواسعة، مد يده يجذب القطعة الصغيرة، رفضت، جذب، تشبست، تناول شفتى، استسلمت لجذب يده قليلاً، أحسست به، ساخنا ومنتصبا يلعب فى مؤخرتى!

حين حاول أن يدفع به للداخل، شعرت بالألم يمزقنى، قفزت من على حجره، أتحسس نفسى، أرفع القطعة الصغيرة بيد، وبالثانية خطفت شنطتى، قفزت على السلم

هاربةولم أعد إليه مرة أخرى!

بعد يومين طلبتنى هناء فى التليفون، قبل السابعة مساءاً. وألحت فى الحضور!

فى شقة هناء تعرفت على حسام صديق أسامة، تعارفنا، شربنا، رقصنا، ثم جلسنا فى الحجرة الصغيرة، المجهزة بالفيديو، والتى كنا نطلق عليها عش الغرام أدرنا شريط الحب.

دقائق واتسعت لنا عين الدهشة والمتعة، استسلمت كل منا لصاحبها. أخذنا نشرب، نرتشف، وما شبعنا أبداً!

هل أعترف لكم؟

كم كان حسام رقيقاً معى، وهو يلامس روحى، خفيفاً، ماهراً، برفق، وعلى مهل حين شعرت به، سكرت معه، جذبته ناحيتى، أكثر وأكثر!

كنت أحضنه وأنا أشعر أننى أمتلك العالم بين ساقىّ!

نعم أختلف كثيراً مع هناء حسين، أنا لا أحب السياسة، ولا أفهم كثيراً فى تلك الأمور التى تتكلم فيها مع أصحابها، خاصة الأجانب!

ولا أدرى لماذا شعرت بالخطر أكثر من مرة؟

خاصة وهم يتكلمون فى أمور خاصة جداً. حتى لو تكلمنا

فيها، لا يمكن أن نفضح أنفسنا أمام الأجانب، وحاولت كثيراً لفت انتباهها إلى حساسية هذه الأمور! لكنها عنيدة، تدافع عن رأيها حتى الموت!

فاحترمت وجهة نظرها......

أتفق معها تماما حول أهمية ممارسة الحب، وندافع معاً عن حريتنا فى ذلك.

حاولنا أن نجرب اللعب مع المدرسين!

كثر الغياب، هددنا الأستاذ أمين أكثر من مرة بالفصل من المدرسة، وكتب لنا إنذاراً بذلك، نظرت إلى هناء، قفلت لها عينى غامزة، هزت رأسها!

- أستاذ أمين، أصل حضرتك، كنا نجهز للحفلة!

- حفلة إيه!

- عيد ميلاد يا أستاذ!

وانحنت أمامه هناء وقد فتحت زرارين من قميصها دفعة واحدة، همست:

- حضرتك أول المعازيم يا أستاذ!

عدل الأستاذ أمين نظارته، مسح عرقه، ابتلع ريقه، أغمض عينيه هز رأسه، تمتم فى حسرة:

- إنها ثورة الشباب، الجنون..........

ودعوت الأستاذ إمام، الذى فهم إشارتى، ولبى سريعاً.

أعدت هناء مائدة فاخرة، من الجمبرى، الاستكوزا، الفيليه، علب البيرة المستوردة، الموسيقى، أجلنا الفيديو حتى نجس النبض.

أكل الأستاذ أمين كأنه لم يأكل من قبل وشرب، ودعته هناء للرقص.

حين لعبت البيرة برأسه، قبّل هناء أمامنا، وحضنها، فغمزت لى بعينها:

- تعال يا أستاذ، الرقص جوه أحسن!

رقصت مع الأستاذ إمام طويلا، اقترب منى، شجعته، قبلنى على خدى، تركت شفتاى له، تعجبنى كثيراً هذه القبلة الحارقة الطويلة، جذبته من يده، ودخلنا الغرفة الثانية.

هكذا استغنينا عن المشاهدة بالممارسة!

كنا نغيب عن المدرسة كثيراً.

إذا ذهبنا نستأذن من الأستاذ أمين وكيل المدرسة، نأخذ منه إذن الخروج فى أى ساعة!

الأستاذ أمين انقلب فجأة، صبغ شعره، هذب شاربه، شفط كرشه، وأخذ يتجول فى الحوش منفوشاً كالديك الشركسى وصدق كلام هناء حسين:

- أنت يا أستاذ محطم قلوب العذارى!

طلب الأستاذ أمين من هناء أن يزورها فى البيت أكثر من مرة وألح فى الرجاء.

تبادلنا النظرات، قلت لهناء:

- الأستاذ أمين يحتاج فرملة.

نعم كان الأمر بسيطاً، دعونا الأستاذ أمين، والأستاذ إمام، لعبنا معهم لعبة العشق والغرام، وحسب الاتفاق كان أسامة - صاحب هناء - يقف خلف الستارة بكاميرا الفيديو.

وصرخنا الثلاثة من الفرحة على عبقرية أسامة فى التصوير، وأستاذية هناء فى العشق والغرام.

- إيه الجمال ده، أحسن من الأفلام المستوردة.

فى الصباح المدرسى أعطت هناء نسخة من الشريط للأستاذ أمين، اصفر وجهه، عرق، وأحسست أنه كبر فجأة عشرين سنة.

هل كنا نفهم خطورة ما نفعل؟

فقط كنا نمارس الحب ونلاعب المدرسين.

أسبوع واقترح الأستاذ إمام دعوة الأستاذ خالد، وافقت هناء، ورقصت مع الأستاذ خالد، ورقصت أنا مع الأستاذ إمام، وكان أسامة - كالعادة - خلف الستارة.

شهور طويلة مع الحب واللهو والمزاح.

وحده العنيد، رفض كل محاولات هناء، كتبت له، كلمته فى التليفون، اعترفت له بأنها تحبه، تموت فيه، هو فتى أحلامها، جاءت له بدعوى للاشتراك في الأسبوع السياحى فى الغردقة أو دهب أو شرم الشيخ لكنه رفض، لا ندرى لماذا؟

جربت معه كل الإغراءات لكنها فشلت معه، باتت هناء كالمجنونة، تصرخ تسب وتشتم وتردد:

- من هو حتى يرفضنى أنا؟

وحاولت مرة أخرى أن تدعوه للبيت بحجة حاجتها للدرس الخصوصى!

ورفض الأستاذ جميل كل ذلك قائلا: يا هناء طلعينى من دماغك!

وحاولت أنا أيضا معه كثيراً، وتراهنا عليه، وخسرنا الرهان وكانت آخر المحاولات معه أن أدعوه للبيت فى غياب بابا وماما.

أخيراً استجاب، نجحت فى تحديد موعد عندى فى البيت، واستقبلته بود وحنان.

كانت هناء حسين تنتظر فى الغرفة المغلقة مع أسامة حسب الاتفاق.

ولكنه أبى ورفض دعوتى إليه، فطردته كما عرفتم فى الفصل الأول.

لكننى مازلت أحبه وأشتهيه!

والآن هل أتركك لكم هناء حسين حتى تعترف لكم ومن قريب؟

كانت هناء تقف هناك، وأزهار حديقة المدرسة تتفتح على خديها، طويلة تقف مثل نخلة وحيدة وشعرها الطويل يغطى كتفيها ونصف ظهرها كصفصافة على بحر النيل.

تراقب ما يحدث بعينين زائغتين وغائرتين، تكز على فكيها بغضب مكتوم وكانت نظرات البنات تطولها، تتفحصها، بالنظرات النارية أحياناً والإهمال والتعالى فى أحيان كثيرة.

وحين نادى عليها الأستاذ أمين وكيل المدرسة، كأنه انتشلها من بحر وحدتها، ونجاها من الأفواه والنظرات التى تكاد تهجم عليها، وتمزقها لتظهر الحقيقة عارية وأمام الجميع..

نعم كانت هناء، ندية، نضرة، تسطع بجمال آخاذ، يخطف العيون، ويأسر القلوب وتسقط الأفواه المدهوشة وتسبح فى فلكها وتهيم.

وكانت تتمتع بجمال وحشى، فيه بكارة الصحراء، وصفاء وجه النيل، وكانت أيضا كثيرة العراك مع البنات، كثيرة التردد على مكتب مديرة المدرسة، ووكيل المدرسة والأخصائى النفسى، تملل دوما أن البنات يكرهنها ويحقدن عليها، ويفرن منها لجمالها، فهى على حد تعبيرها، أجمل البنات، وقريباً سوف تعرفون. هكذا تقول. من هى هناء حسين، فلقد اختاروها للمنافسة على لقب ملكة الجمال فى مصر، إن هناك مفاوضات. هكذا تدعى. مع مخرج سينمائى كبير، لتأخذ دور البطولة، وكنت تقرأ اسمها فى كل الأنشطة والجماعات المدرسية، جماعة التمثيل، جماعة الإلقاء، جماعة المسرح، وهكذا وجدت هناء نفسها، أو ما يشبع غرور جمالها الوحشى، وتتحرر من قيود الفصل المدرسى، وتفر من النظرات النارية للبنات.

- أستاذ جميل، عاوزه درس عربى!

- يا هناء، أنت متفوقة..

- لكنى، ضعيفة فى النحو

- الأستاذ خالد عامل مجموعة مدرسية

- عاوزة درس فى البيت، ولوحدى..

- فى البيت ولوحدك، صعب قوى وبعدين مافيش وقت.

- شوف حضرتك الوقت اللى يناسبك، وحدد المبلغ....

- الفلوس مش كل حاجة..

- أعتبر حضرتك موافق..

وحين أعلن الأستاذ جميل مشرف جماعة الإلقاء بدء تدريبات الإلقاء، وجد خمس طالبات وهناء، ثارت الطالبات، يكفيها التمثيل والمسرح والرقص، ولتترك لنا الإلقاء..

وأمام تصميم هناء أن تقيد اسمها فى جماعة الإلقاء وأول اسم، صرخت الطالبات، بكين وقلن للمشرف، لابد أن تفعل شيئاً، وأخذ جميل يهدأ ثورة البنات، يشرح لهن، ولكن الطالبات انصرفن غاضبات باكيات..

صحيح المشرف لا يملك أن يمنع أى طالبة من المشاركة فى الأنشطة المدرسية.

وهكذا وجد جميل نفسه يجلس مع هناء فى كل الحصص الخالية من جدوله المدرسى.

اعمل حسابك يوم الخميس عيد ميلادى..

- كل سنة و.....

- لازم تحضر.....

- حسب الظروف.......

القعدة ها تعجبك قوى، رقص، فرفشة، هاخليك تعمل دماغ...

- صدقينى يا هناء، أنا خايف عليك....

- بس تعال... روّش نفسك، نفسى أخليك تسافر..

- اسافر فين؟ «كان يسمع أنها كثيرة السفر إلى لبنان وتركيا».

- تمسك الصاروخ أبو أجنحة، وتركب حصان خيالك وتطير..

- عاوز تمارس الحب، تلاقى، خايف اقعد على دكة المتفرجين!

- إنت فاكرنى لسه تلميذة، يا أستاذ أنا شابة ناضجة!

- تعال بس وإنت تشوف وتعرف، فيه جمبرى، واستكوزا، وبيرة ووسكى، وشيشة مفمسه، وسجاير قصدى صواريخ ذوات الأجنحة وتعمل دماغ كمان!

- كل ده منين؟

- يا أستاذ احنا عندنا أكبر محلات سمك فى البلد تعمل ٢٤ ساعة، أنا أملك أكبرهم، وأمى وأختى الباقى، وحاجات تانية كتير..

- وأبوك!

- تعيش إنت من خمس سنوات....

- أختك معاك فى البيت؟

ـ أختى مسافرة كندا مع زوجها وعيالها، وأمى ليل ونهار فى المحلات.

ـ ليل ونهار؟ «مندهشا»

ـ مش بالضبط، بالنهار نايمة، وبالليل تتابع المحلات بالمحمول! وأنا طول الليل لوحدى أعد النجوم!

هل أدرك جميل معنى الخوف والقلق الذى يكبر داخله ويتضخم يوما بعد يوم، هل عرف وفهم سر كثرة الإشاعات التى تتردد فى المدرسة، وتهمس بها البنات؟

سمع يوما أن الأستاذ أمين وكيل المدرسة يتردد على هناء حسين كثيراً فى البيت وأنه يعطيها دروساً فى الرياضيات ـ فهو أستاذ رياضة قديم ـ ويتردد على أمها فى المحل، ويخرج كل مرة يحمل شنطة كبيرة بها عدة لفافات من الجمبرى والاستكوزا و..... وسمع أن خالد مدرس العربى يتردد عليها، وإمام مدرس الإنجليزى أيضا.. تتسع عين جميل دهشة، يحاول أن، يفهم هذا العالم الغريب ويبتسم لسذاجته الريفية، يرى الهوة تزداد يوما بعد يوم، وكأنه يقف فى هذا العراء وحيداً.

ـ الأستاذ أمين بيجيلك البيت.

ـ أحسن أستاذ رياضة.

ـ والأستاذ خالد.

ـ السنة اللى فاتت بس، وبقدين أنا قرفت منه..

ـ عيب كده..

ـ وهو ده يعرف العيب، عاوز يعاملنى زى ولد فى حارة ضلمة..

والاستاذ إمام..

ـ لا.. إمام ده حبيب قلبى، سكرة المدرسة، زى حضرتك كده..

ـ بيجيلك البيت..

ـ من سنة أولى، أكثر أستاذ فاهمنى!!

ـ بيجيلك الساعة كام..

ـ أحياناً الساعة عشرة، وأحياناً اتناشر.. لما يخلص دروس..

ـ دروس الساعة اتناشر..

ـ إنت طيب قوى يا أستاذ.. اسمع فى مرة الجرس ضرب، فتحت الباب، لقيته واقف على الباب وماسك دماغه، وقال يا هناء عندى صداع جامد..

ـ أكل جمبرى، وجهزت له كام صاروخ، وفرفشنا شوية، وريحته على الآخر ونزل من عندى الساعة اتنين ونصف يغنى يا مالكا قلبى.

يفتح جميل فمه أوسع من فناء المدرسة وبعينين غائرتين، دامعتين ما يزال يكرر على نفسه ويعيد السؤال ثانيا على هناء:

- الأستاذ إمام نزل من عندك الساعة اثنين ونصف صباحاً..

- أيوه الأستاذ إمام، روّش نفسه وعمل دماغ واثنين، ونزل يغنى من عندى يا مالكاً قلبى.

- إيه مش قد المقام!

- إنت وعدتنى هاتيجى حفلة عيد ميلادى، ولا أعمل لك حفلة خاصة..

- نعم؟! حفلة خاصة.

كان ما يزال جميل يفتح فمه وعينيه دهشة وفزعة مما يسمع، وظل يتساءل:

- من الذى يطعننا - وفى الخفاء - فى أعز ما نملك؟

هل عرف الآن سر خراب ودمار أخلاق البنات؟

خاصم النوم جميل هذه الليلة، ظل يتقلب فى فراشه حائراً ومهموماً، يفكر ويعيد ترتيب أوراقه ما سمع من هناء، ويربط بينها وبين الهمسات التى تتردد على ألسنة البنات، وألف سؤال حائر فى حاجة إلى جواب، هل يصدق الهمسات؟

- الأستاذ أمين، وإمام، وخالد وجلسات الفرفشة والروشنة!

- إنها تلميحات المراهقات وخيالهن الخصب..

- لكن الهمسات أخذت تتردد بقوة فى المدرسة، جلسات المزاج والرقص مع البنات فى شقة هناء حسين، أكل وشرب ورقص، ثم الجلسات المنفردة فى الغرف المغلقة.

- لا .. لا مستحيل، دى مدرسة ولا كباريه!

كانت أسئلة الدهشة تلح وتضغط على رأس جميل، عيناه جمرتان يتطاير منهما الشرر، وأنفاسه تخرج محمومة، كأن بداخله فرنا يشتعل لهيباً، بات فى عراك دام مع البنات، كعراك القطط والكلاب، ترى هل عرف النوم طريقه هذه الليلة؟

فى الساعة التى غفى فيها رأى فيما يرى النائم أنه يقف فى ساحة فسيحة، تنام هناء عارية وسط الساحة، تحوطها مجموعة من الكلاب تنهش لحمها، بصق على الجميع، وحين همّ بالانصراف هجمت عليه الكلاب المسعورة وكادت أن تفتك به، امرأة طويلة عريضة تلبس السواد، جاءت مسرعة إلى الساحة، نظرت إليهم، صرخت فيهم:

- ولدى ليس منكم، إنه برىء مما تفعلون!

فتحت عباءتها السوداء الواسعة، ضمته إليها، وأخذته بعيداً، بعيداً.

فى الصبـاح المدرسى، وقف يتـابع برنامج الاذاعـة المدرسية، باقتضاب، بدا صموتاً كابيا، حزيناً، مهموماً بتوابع أسئلة الدهشـة، يفتح عينيه، يتـأمل مـا حوله قلقا بحلم الأمس، فلقد زادت حيرته أكثر من سعادته بالنجاة.. ترى ماذا يعنى ذلك؟

هل هى رسالة مشفرة إليه؟ من عالم الشفافية والنقاء، من عالم الحقيقة، ترى من هذه السيدة؟

نعم رآها بوضوح،... ملامحها، لكنه لم يقابلها يوما فى حياته!

وما سبب هذا الحب الكبير، الدفء، الحنو، حين ضمته إلى صدرها؟

فى الطريق إلى فصل ٣/٢، بدت الردهة طويلة، وبدا الطريق أمام جميل كأنه يمشى فى الصحراء وحيداً، وكانت الردهة الواسعة تضيق، تضيق على ضلوعه فتختنق أنفاسه، نفض عن رأسه حزمة الأسئلة القلقة والحائرة، استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، خلع ثوب الهموم على باب الفصل، رسم ابتسامته المريضة على ملامح وجهه، استعاد مرحه القديم، وهو يرحب بالبنات وأخذ يومىء لهذه، ويبتسم لتلك، ويشير لذات البثور أن تصمت، ويسأل ذات الخصلة عن كراستها، ثم كتب على السبورة، من الذاكرة كالمعتاد،

اخذ يسأل والطالبات يجبن، يشرح ويعيد ويسأل الطالبات هل فهمتن؟

بدا جميل غريبا هذا اليوم، كأنه يشرح للمرة الأولى، كان تتابع إجابات الذهن بطيئة، وأخذ يسأل الطالبات، حتى يرتب إجاباته فى ذهنه، وراح يسأل نفسه:

- ماذا حدث لذاكرته الحديدية؟

بدا له أنه يأخذ مادته العلمية من رأسه، كمن يأخذ الماء من البئر العميق الشحيح، وبدت نظراته للطالبات تائهة وقلقة، ينظر إليهن ولا يقرأ أفكارهن، حاول أن يمرح كعادته، أن يشيع فى الفصل كثيرا من الود والحنو، لكنه قرأ سطوراً جديدة، فى العيون التى تحدق وتتفحص، من كتاب كتب سطوره مع البنات منذ ثلاث سنوات.

لماذا يشعر اليوم أن البنات تبدو بعيدة عنه؟ نعم يرى ويحس بالبنات، لكن ماذا حدث؟

البنات اليوم تراقب وتتفحص، ولا تجيب أو تتفاعل، هل البنات بعيدة عنه؟ أم هو الذى يبدو مهموما، قلقاً، حزينا، وانعكس ذلك القلق على ترمومتر العلاقة بينه وبين البنات؟

ترى من يريحه ويجيب على أسئلة القلق والدهشة؟

فى الفسحة أشارت له دعاء وهو جالس فى حجرة المدرسين، حين همّ أن يلبى إشارتها وجد الطالبات رانيا

وولاء ونجوى يتحلقن حول دعاء:

ـ ألف سلامة يا أستاذ.. شكلك تعبان قوى.

ـ شكراً يا بنات..

ـ والله يا أستاذ احنا بنحبك قوى وعاوزين نقولك حاجة!

وتوالى بوح البنات:

ـ هناء يا أستاذ بتقول كلام وحش قوى على الأساتذة اللى بتروح عندها فى البيت.

ـ واحنا بعد أذنك مش عاوزينك تروح عندها.

ـ هل تصدق يا أستاذ أنها بتقول أنها بتصرف على المدرسة والمدرسين؟

ـ وأنها تعرف كيف تتعامل مع المدرسين؟

ـ وبتقول إن المدرسين فى بيتها، يأكلون، ويشربون، ويرقصون مع البنات.

ـ تصدق يا أستاذ! بتحاول تجر رجل البنات واحدة واحدة إلى شقتها وتعرفهن على الشباب، يرقصن ويذهبن إلى رحلات يومى الخميس والجمعة إلى دهب وشرم الشيخ والغردقة.

ـ يا أستاذ.. بتغرى البنات بالفلوس ٥٠، ١٠٠ جنيه للبنت اللى تروح شقتها وتجالس الشباب.

هل صمت جميل طويلا؟

نظر إلى البنات الشائرات، كان يتمنى أن يضمهن إلى صدره، أن يشد على أيديهن، أن يقبلهن قبلات الأب لبناته...

استعاد جميل ابتسامته الهادئة، لمعت عيناه بالتحدى وهو يقول للبنات:

- لا تخافوا يا بنات مازلت قويا، اطمئنوا.

- لا تخافوا، مازلت صعيدياً..

فى حجرة المدرسين، كانت تطن رأس جميل، كخلية نحل فى موسم العمل، أخذ يلوك ما سمعه، ويسأل نفسه:

- هل يسكت على كل هذه الهمسات؟

- لم تعد همسات، عبارات وأسئلة دهشة تتردد فى فناء المدرسة، وطابور الصباح، وبين الحصص وفى الفسحة، حتى بات المخبوء والمستور معلناً وقبيحاً، يطول معظم المدرسين ووكيل المدرسة.

قطع إمام عليه حديث الصمت:

- يا جميل الأستاذ أمين عاوزك..

سأله بدهشة الذى لا يعرف..

- أمين مين أمين؟ «وهو يتفحص ويتأمل معنى الاسم»

- مالك يا جميل؟ إنت سخن!

نظر إليه جميل وكأنه يسأله مفكراً ومتأملاً وصامتا:

- أنا اللى مالى، أنا اللى سخن!!

صرخ إمام:

- يا جميل الأستاذ أمين وكيل المدرسة..

أجابه والابتسامة الساخرة تملأ عينيه وتتراقص على شفتيه مازحاً، وهو يضغط على حروف ومعانى الجملة:

- آه الأستاذ أمين وكيل المدرسة، طيب، حاضر.

كان الأستاذ أمين يبدو أصفر الوجه، مترهلا، فمه خاليا من نصف أسنانه، يدخن بشراهة، ينظر إليه نظرات طويلة فاحصة:

- وقع يا أستاذ جميل على نشرة الوزارة!

حين همّ جميل بالتوقيع كالعادة دوما على مثل هذه النشرات اليومية والروتينية:

قال له الأستاذ أمين:

- من فضلك يا أستاذ جميل اقرأ أولاً، هذه نشرة المجموعات المدرسية والنشرة تقول ضرورة إبلاغ الوزارة عن الأساتذة غير المشاركين..

- طبعا هاتشترك فى المجموعات يا أستاذ جميل..

ـ أنت أستاذ كبير ومحبوب من البنات..

لا يعرف الأستاذ جميل لماذا تصور الأستاذ أمين ضخم الجثة، منتفخ البطن يبتلع المدرسة كلها! فى كرشه ومئات البنات أيضا؟

وراح يتخيل .. ربما سمع البنات فى كرشه يبكين ويصرخن ويستغثن به ويطلبن الخلاص.

فى الطريق إلى حجرة المدرسين طلب جميل قهوته المضبوطة، ليسكت الدق فى دماغه ويهدأ قليلاً، لحقه إمام هامساً:

ـ يا جميل هدى اللعب، الموجة شديدة وخليها تعدى..

نظر إليه متأملاً:

ـ لعب إيه وموجة إيه.

ـ يا جميل إدارة المدرسة واخدة موقف منك علشان عدم اشتراكك فى المجموعة.

ـ يا إمام احنا متفقين من زمان كأسرة اللغة العربية أستاذ واحد يعمل المجموعة لكل فرقة على حدة، وخالد هو أستاذ المجموعة..

ـ طيب سدد النسبة وريّح دماغك..

ـ نسبة إيه؟

- مبلغ صغير كأنك مشترك فى المجموعة المدرسية.

- أبداً ولا مليم، على رقبتى!

- يا جميل الوزارة مشددة على تجريم الدروس الخصوصية.

- يا إمام كل المدرسين شغالة دروس.

- وكل المدرسين يشتركون فى المجموعات المدرسية علشان يحمون أنفسهم!

- تقصد المجموعات الوهمية ويدفعون النسبة المحددة للإدارة!

- صدقنى خايف عليك.

هل عرف الآن جميل سبب الشكاوى التى كتبت ضده؟

وهل أدرك سبب حضور المحققين للمدرسة ودخول فصوله بالذات؟

طلب من ولاء أن تحضر له فنجاناً ثانياً من القهوة، رأى العينين والبريق الأسر الذى يشع من عينى ولاء، تود لو تتحدث إليه، صامتة تقف، ولكنها تتكلم معه، ويكلمها، بلغة الصمت وكأنه يقول لها:

- وكلانا فى الصمت سواء..

ولا يدرى لماذا يذكر الآن بيت الشعر الذى بات يحفظه

ويردده على نفسه كلما مر به طيف ولاء، ذلك الذى يحكى عن لغة العيون:

إن العيون إذا تكلم صمتها

خرست لديها السن الفصحاء

بات يدرك سر هذه النظرات الحانية أحياناً، المعاتبة احيانا أخرى، لكنه فى جميع الأحيان يحترم ولاء احتراماً كبيراً، أولاً لأدبها وأخلاقها، تدينها والتزامها بالحجاب، إنها نموذج للبنت المصرية، المقبلة على العلم، المتمسكة بالأخلاق الرفيعة، الملتزمة بآداب دينها الحنيف.

وثانيا لأبيها عقيد الشرطة، ذلك الرجل المثقف الواعى، والذى تعرّف عليه فى اجتماع أولياء الأمور، يذكر أنه قال له فى أول لقاء من ثلاث سنوات:

- إننى أحبك رغما عنى، من كثرة ترديد اسمك فى بيتنا، ولاء على الفدا تقول الأستاذ جميل قال كذا وعلى العشا الأستاذ جميل يقول كذا...

- صدقنى يا أستاذ أنا بدأت أغير منك، ثم يضحك عاليا...

من اللقاء الأول والاتصال بينهما والود دينمو ويكبر يوماً بعد يوم، حتى بات المدعو رقم واحد فى كل الحفلات العائلية

فى بيت ولاء.. ويحلو للعقيد عبدالرحمن أن يقدمه للضيوف قائلاً:

- الأستاذ جميل الأب الأول لابنتى ولاء.. ويضحك ضحكة عالية.

راح جميل يقرأ سطورالكتاب المخبوء فى عينى ولاء وملامحها ووجهها، ويفهم سر هذه النظرات العاتبة وكأنها تلومه أو تريد تفسيراً لعلاقته بهناء، يتذكر أنه أخبرها يوما:

- كل طالبة من حقها أن تسأل الأستاذ أو تأتى إليه متى تشاء؟

يتذكر أيضا أنها لم تقتنع، قطبت جبينها، لوت شفتيها، هرولت غاضبة حين طرقت هناء باب حجرة المدرسين، كانت ما تزال ولاء تقف صامتة، أخذ يقرأ ملامح ولاء وهى تتغير وتتلون، ملامح الضيق؟، الغضب النظرات النارية الأنثوية، يرى الآن ولاء، تقطب جبينها وتهرول غاضبة.

- لا.. لا أنا زعلانة منك.

- وعليكم السلام..

- «بغرور وكأنها تمثل» أنا.. ماشى، تطنش عيد ميلادى.. حاضر!

- «دون أن تنتظر إجابة» طيب بخيل ومش عاوز تجيب هدية، ماشى اعتبر الهدية وصلت، تعبان قول نبعت لك

العربية الخصوصى تجيب حضرتك.

. «متسائلا» إنت ما فيش مشاكل خالص؟

. وليه مشاكل، الفلوس «بفخر» الفلوس يا أستاذ تحل جميع المشاكل.

. صدقينى كنت تعبان شوية.......

. طيب سماح، سماح يا أستاذ، بس هذه المرة!

. تجلس وهى تنظر يمينا ويساراً وحين تطمئن للغرفة الخالية قالت:

. اسمع يا سيدى عاوزين سيادتك فى ندوة مهمة جداً

. ندوة إيه يا هناء إنت مؤسسة متحركة.

. اسمع بس ندوة يحضرها مثقفون وطلبة جامعات..

. والمطلوب!

. أبدا تقول محاضرة جميلة، بصوتك القوى، المقنع والجميل..

. محاضرة عن إيه..

. عن مشاكل المنطقة العربية..

. المشاكل كثيرة..

. مشكلة الحرب بالذات، وحضرتك شاعر ويهمك الناس

تسمعك وتشوفك ورسالتك تصل!

- أى رسالة؟

- رسالة الحب والسلام وعلى فكرة التليفزيون، هيسجل الندوة وكمان الفضائية المصرية..

- أفكر، ولو أن الوقت ضيق.

- وعلى فكرة بيدفعوا كويس «وكأنها ندمت على التلميح».

- مين بيدفع؟

- أقصد الجمعية تعطى مقابل مادى للمحاضرين.

- أى جمعية؟ «وهو ينظر إليها يتفحصها ويقرأ المخبوء فى عينيها».

- جمعية الحب والسلام..

- وبماذا تدعو؟

- تدعو للتعايش السلمى بين شعوب المنطقة!

- الله أكبر وتحيا مصر، ويهمس:

- «لاتصالح ولو منحوك الذهب»

اتسعت عين الدهشة وأخذ يقرأ الإجابات التى تترى على ذهنه لأسئلة الدهشة التى عذبته أسابيع طويلة مضت، ها هى الأفعى تكشف عن أنيابها، تبث سمها الناقع صراحة

ودون مواربة، وراح يتساءل لماذا كشفت عن أنيابها؟

هل عندما فشل أسلوب التلميح، لجأت إلى التصريح؟

أخذ جميل ينظر فاحصا ومدققاً، لا يعرف لماذا الآن تذكر حلمه؟

نعم يراها الآن تنام عارية تنهشها الكلاب، يتذكر السيدة السمراء الطويلة مثل نخلة تشق الصفوف وتنقذه منها قائلة:

. ولدى ليس منكم، تلمع . الآن . عينا جميل بالتحدى وهو يتأمل هناء قائلا:

. لماذا تسافرين كثيراً؟

. لا مش كتير بسافر مرة أو مرتين لتركيا بس.

. وليه تركيا!

. بلدنا «متراجعة» بلد بابا..

. نعم أبوك تركى! «متعجبا»

. «وكأنها تلقى بالقنبلة الأخيرة» بابا يهودى تركى، لكنه أسلم وغير اسمه قبل التأميم..

. طبعا علشان المحلات والشركات..

أجابت مؤكدة:

. على فكرة أمى مصرية، وأنا مولودة فى مصر.

«وحمد الله فى سره أنها لم تقل أنها مصرية»

واندفعت تقول:

- على فكرة لماذا لم تتـزوج حـتى الآن؟ إذا كـانت المشـكلة الفلوس، انضم للجمعية وهى تساعدك فى الشقة ومتطلبات الزواج تصمت فترة.....، هه موافق!

- لا

- بعد كل الكلام اللى عرفته.

- هذا يدعونى للرفض أكثر!

ويردد بتحد: «لا تصالح.. ولو منحوك الذهب»

6

يوميات مدرسة البنات

يوم ولاء

حملت صوتك في قلبي وأوردتي
فما عليك إذا فارقت معركتي
أطعمت للريح أبياتي وزخرفها
إن لم تكن كسيوف النار قافيتي
آمنت بالحرف ناراً...
لا يضير إذا
كنت الرماد أنا...
أو كان طاغيتي
فإن سقطت....
وكفي رافع علمي
سيكتب الناس فوق القبر:
"لم يمت"
(محمود درويش)

يهتدى النوم إليك، يعرف جفونك وتستسلم للنوم الطويل، أسابيع طويلة والبنات تحذرك، تقرأ فى عيونهم الخوف والحذر، تفهم الآن أسباب القلق عليك، يالسذاجتك الطفولية، ألم تفهم كل هذه التلميحات؟

تكلمك دعاء صراحة تحذرك من هناء حسين، تسمع همسات البنات تردد بقوة بين الردهات وبين الحصص، تتناثر كلمات السهرات على السلالم وفى طابور الصباح، يحلو لها أن تردد على مسامع البنات، تجد هناء متعتها أن تحكى:

- الأستاذ .... أكل كيلو جمبرى لوجده، وشرب ورقص، يا اخواتى عليه لما يسكر، بيقول ويشرح أحسن من الفصل.

- وحياتك يا شوشو كله مسجل عندى فيديو، علشان يلموا نفسهم معايا.

وأنت تصمم على عدم التصديق، ترى جميع الناس شرفاء، أنقياء إلى أن يحدث العكس، ترى مش تسمع - هكذا تؤكد لولاء - وتضيف:

- لو أخذنا الناس يا ولاء بالسمع، لن نجد أحداً يسلم من القيل والقال.

هل كنت تقرأ المستقبل؟ تشاهد المخبأ لك؟

تستيقظ فى الثانية أو الثالثة صباحا لا تذكر على صوت الهاتف المزعج.

ترى من الطالب فى هدأة الليل؟ ماذا حدث لكى يلح عليك هكذا؟

ترفع سماعة الهاتف:

- السلام عليكم

- الله، أنت رجل تحب السلام

- أفندم

- احنا كمان بنحب السلام

- مين معايا؟

- جمعية الحب والسلام

- والمطلوب

- طامعين تشرفنا بالحضور، ونسمع صوتك العذب فى الندوة الشهرية.

- أنا اعتذرت لهناء

- واحنا مش قابلين الاعتذار ومتمسكين بك.

- وأنا أكرر الاعتذار، ما عنديش وقت.

- شوف المواعيد التى تناسبك واحنا نعمل الندوة فيها.

- أنا أسف ....

- «مقاطعا» لا ترفض ها ندفع كويس، كويس قوى......

- «محتداً» ولا فلوس الدنيا كلها........

- مصمم على الرفض

- بكل تأكيد

- ما تعملش فيها بطل

- أنا بطل غصب عنك وعنهم

- بكره تندم

يطير النوم من عينيك، تفزع من وقاحة التهديد، تنهض واقفا، تخرج إلى البلكونة، تنظر إلى ساعة الصالة الثالثة والنصف، تبحث فى مخك عن واحد تحكى له، تتجول فى فراغ الشقة الموحش، وجدرانها الكئيبة التى تضغط على صدرك، ترجع للبلكونة ثانياً، تبحث عن طارق الليل تشكو له همك، الشارع ساكن إلا من قفزات العرس أمام القطط والكلاب، تطلب العقيد/عبدالرحمن وتخبره بما حدث؟

تراجع نفسك، الرجل صديق نعم، ولكنه يعمل طوال النهار ونصف الليل ومهنته شاقة، تطلب بوليس النجدة!

تعود لفراشك مستنكراً هذه الأفكار الصغيرة، وكأنك تسأل نفسك:

- لماذا تفعل كل هذا؟

- وماذا حدث؟

- هل مكالمة تافهة من ناس تافهين تفزعك كل هذا الفزع؟

- يا رجل لا تقلق إنت فى بيــتك، بين أهلك، آمن فى وطنك.

فى الصباح الدراسى تراجع البرنامج الاذاعى اليومى، تبحث وتفتش عنها، تود لو تراها تقف فى طابور الصباح، هل تسأل عن هناء حسين؟

سوف تظن بك البنات الظنون، تتراجع أمام نظرات ولاء المعاتبة والحزينة، تنفرد بولاء قائلاً:

- كنت هاكلمك نص الليل؟

- اتفضل يا أستاذ فى أى وقت!

- الساعة تلاتة!

- وإيه يعنى البيت بيتك يا أستاذ، حصلت مشكلة ولا حاجة!

- لا حاجة بسيطة، يمكن أكلم بابا ....

- على فكرة بابا فى البيت النهارده، أجازة... حظك من السما!

مع الحصص واندماجك مع البنات تنسى ما حدث، تكاد

تستعيد هدوءك النفسى، وأنت تشرب قهوتك فى حجرة المدرسين، يدخل عليك عم محمد عامل المدرسة فزعاً ومشيراً لأمين الشرطة المصاحب له:

- الأستاذ جميل

- أنت الأستاذ جميل!

- نعم

- تفضل معى فى هدوء

- على فين؟

- اتفضل معى وأنت تعرف.....

تخرج ثابتا، تخفى قلقك، تتمنى لو حدثت العقيد عبدالرحمن بمكالمة نص الليل، تدخل حجرة مديرة المدرسة تسمعها:

- مش ممكن، الأستاذ جميل ممتاز، مستحيل يعمل كده!

- فيه بلاغ اتقدم اليوم من البنت.

- السلام عليكم «قلت للحاضرين فى غرفة المديرة» ولكن لم يرد أحد، فلقد أكلتهم الدهشة!

قال الأمين لنقيب الشرطة:

- الأستاذ جميل يا أفندم..

- اتفضل معنا

تمشى فى الردهة، العيون تحدق فيك، دهشة، فاحصة، شامتة، تقترب الفسحة على نهايتها، تسمع جرس الفسحة وبداية الحصة الخامسة، البنات ترفض الدخول، تنظر إليك، تجرى خلفك وألف سؤال تردده العيون الدهشة والأفواه الفاغرة! ماذا حدث؟

تقابلك ولاء تسألك:

- فيه إيه يا أستاذ؟

- مش عارف يا ولاء كلمى بابا!

تخرج فى حراسة الشرطة كاللصوص والمجرمين، وأثناء الفسحة، وأمام الطالبات، وحدك تدرك المؤامرة، وحدك تستعيد مكالمة الأمس، ترن فى أذنيك:

- ما تعملش بطل!

- بكره تندم......

دقائق وتجد نفسك بين الضابط، تدخل القسم، تقف على الباب، يدخل النقيب الغرفة الواسعة، والمغلقة يغيب قليلاً، يخرج الأمين، يصحبك للجالس على المقعد الدوار، يقول له الأمين:

المتهم جميل يا أفندم:

تسمع كلمة «المتهم» تدور بك الأرض، تتمنى أن تنشق

الأرض وتبتلعك، يظل الجالس على المقعد الدوار، يرقبك، يتفحصك، ينظر إليك باحتقار ويكلمك بقرف:

- إنت بقى زير النساء، اسمها كده فى الكتب صح!

ويكمل مستهزئا:

- إنت بتعلم البنات إيه بالضبط، الطريقة المثالية للإشباع الجنسى!

- تتكلم وأنت تبلع ريقك الجاف:

- ممكن أعرف فيه إيه يا أفندم؟

- مش عارف عملت إيه؟

- والله يا افندم ما عملت حاجة......

- لا تحلف بالله!

- يا أفندم بحلف على حد علمى!

- علم إيه... وهباب إيه احنا محترمينك لحد دلوقتى، علشان كلمة أستاذ اللى خسارة فيك!

- احك بقى بتعمل إيه مع البنات...

دقات ويفتح الباب، ينهض الجالس معتدلاً، يضع الكاب فوق رأسه، أهلا يا افندم!

- العقيد عبدالرحمن مباحث القاهرة

- ابنتى ولاء تلميذة الأستاذ!

يسلم عليك فزعاً، متسائلاً، مستغرباً:

- فيه إيه يا جميل!

تنظر للواقف أمامك وتؤكد للجميع:

- والله يا أفندم ما عملت حاجة....

يجلس الجميع، تتردد فى الجلوس، يشير إليك، تجلس صامتا، يقرأ العقيد عبدالرحمن المحضر، ينظر إليك ثم ينظر إلى ابنته، يقول للمقدم أحمد دهشاً:

- مستحيل، أكيد فى حاجة غلط! ويتابع كلامه:

- الأستاذ جميل أستاذ ابنتى منذ ثلاث سنوات، وأنا أعرفه كويس جداً

- يا افندم البلاغ اتقدم النهارده والبنت.... «هامسا» حامل.

يسكت ويشير ناحية ولاء

يقول العقيد:

- البنت دى ابنته من ثلاث سنوات، وابنتى من ١٧ سنة، لازم تعرف مش هاتتام...

- حاجة من اتنين، إما فيه حاجة غلط والرجل ده برىء...

- أو احنا كنا من ثلاث سنوات فينا حاجة غلط...

ينظر العقيد للمقدم قائلا:

- افتح محضر وخد أقواله...

- لو حضرتك عايز تتكلم معاه قبل المحضر ما فيش مانع.

يصمت العقيد قليلا، ينهض المقدم قائلا:

- أطلب لسيادتك القهوة

ينظر العقيد عبدالرحمن إلى جميل فى استغراب:

- تعال يا جميل اقرأ المحضر!

تقرأ وعيناك تفيض بالدمع، وتؤكد له:

- والله يا سيادة العقيد ما أعرف بيتها فين ولا قعدت معها أبداً إلا فى حجرة المدرسين.

- وبعدين هى اتكلمت معايا فى موضوع كده ورفضت.........

- وحد كلمنى بالليل وأخذ يهددنى.........

تتكلم وتكاد تبكى، تحكى التفاصيل الدقيقة، يشجعك على المزيد، تتكلم عن السهرات، والدعوات وتردد الأساتذة عليها، تذكر له ما اعترفت هى به لك، تحكى، وهو يتابعك وينظر إلى عينيك مرة ثم إلى ولاء مرة ثانية!

- إيه رأيك يا ولاء فى الكلام ده؟

ـ يا بابا، فيه كلام أكثر من كده بيحصل والبنات هي اللى بتحكى..

يصرخ فيها الأب ويعاتبها، كنت قلت لى!

ـ قلت للأستاذ جميل، لما عرفت من البنات إنها عزمته على حفلة عيد ميلادها.

ـ ورحت الحفلة يا جميل!

ـ يا افندم والله ما أعرف بيتها ولا رحت حفلات.

دقات الباب، القهوة تدخل للعقيد عبدالرحمن، المقدم أحمد يجلس مكانه ينظر إلى العقيد ويسأله:

ـ نفتح محضر يا افندم!

ـ لا لو سمحت التليفون، المدرسة فيها عصابة كبيرة، مافيا، لازم نقبض عليهم.

يتناول العقيد عبدالرحمن التليفون، يتكلم، يأمر، يطلب إذن النيابة بالقبض على أمين وخالد وإمام واستدعاء مديرة المدرسة للشهادة، يطلب من السيد مدير الأمن أن ينقل التحقيق من القسم إلى مديرية الأمن.

ينظر إلى ابنته ويكلمها بحنان:

ـ ولاء، تروحى إنت يا بابا، أنا كمان بحب الرجل ده!

تنظر إليه وتنظر إلى جميل، يجيبها:

ـ صدقينى يا ولاء أنا عاوز أعرف الحقيقة قبلك، مع السلامة.

تصل نفس عربة الشرطة، والنقيب وأمين الشرطة إلى المدرسة، ويتم القبض على أمين وخالد وإمام و........و........

وينتقل الجميع فى سيارة الشرطة وسط حراسة مشددة إلى مديرية أمن القاهرة ويظل التحقيق مستمراً إلى منتصف الليل، ويتتبع المحققون كل الخيوط، ويعاد سؤال هناء، وتصمم على البلاغ وتؤكد أنها حامل منك، فيأمر العقيد عبدالرحمن بتحويلها إلى الطبيب الشرعى، ويأمر بتفتيش منزلها.

وحين يلف الجميع التعب والإرهاق بعد منتصف الليل، ينظر العقيد إليك:

ـ يا جميل إنت ضيفنا هنا الليلة.

يأمر العقيد بدخول أمين وخالد وإمام الحجز لحين الانتهاء من التحقيق، ثم ينظر للنقيب أسامة ويشير:

ـ خلى جميل ينام فى مكتبى للصبح.

وتدور المطابع بعد منتصف الليل، وتخرج الصحف بالعناوين الكبيرة والمثيرة:

«القبض على ذئب بشرى يغتصب الطالبات»

«الذئب البشرى ينفرد بالطالبات ويمارس معهن الشذوذ الجنسى»

وجريدة أسبوعية متخصصة فى مثل هذه الأخبار تقول العناوين المثيرة:

«سقوط عصابة الذئاب البشرية»

«وكيل المدرسة الثانوية للبنات يحول المجموعات المدرسية إلى حصص لممارسة الجنس الجماعى»

ومجلة أسبوعية تتصدرها العناوين وبالبنط العريض:

«أربعة ذئاب بشرية يغتصبون طالبة الثانوى، الطالبة تحمل سفاحاً ولا تعلم أباه»!

تصرخ مع أمل دنقل:

«أنا على مشانق الصباح

وجبهتى بالموت محنية

لأننى لم أحنها حية»

تمر عليك الساعات بطيئة، تلوك المرارة فى فمك، تبصق الكذب والظلم، تصرخ جراحك النازفة، تستعيد شريط الذكريات، تتأمل المؤامرة التى نصبت لك، تسخر من تنفيذ الجريمة التى تعرضت لها تهز رأسك ساخراً، والدموع تفر من عينيك قسراً، يموج صدرك بالأنفاس الحارة، تهيج

معدتك، تتقيء شيئا أصفر لأنك لم تأكل طول النهار، ترفض الأكل الذى أحضروه لك.

تمى يا جميل قيمة الرجل الذى لولاه لأكلت على قفاك حتى تشبع، وكنت تنام الآن مع المجرمين واللصوص ومصاصى دماء البشر أمثال أمين وخالد وإمام، تنادى متوسلاً:

ـ يا الله، يا مغيث، وتردد الحمد لله وتتمتم «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»

تسلم أمرك لله، تحاول أن تغفو قليلاً، تهدأ نفسك فتنام ساعتين، تستيقظ على صيحات جنود الأمن والضباط المناوبين.

تدخل الحمام تضع رأسك تحت الماء البارد طويلا، تتوضأ وتصلى لله.

تسجد وتدعو الله ساجداً، أن يرفع البلاء، يرد حقد الحاقدين على صدورهم، يهل نور الصباح بالحركة والصخب والضجيج، تجلس آخر الغرفة، جندى الحراسة يتولى إجابة الأسئلة عنك، ويمنع عنك المصورين حسب تعليمات عبدالرحمن بيه، تذكر ذلك وتحمد الله، وإلا كانت الفضيحة بالصور فى كل مكان، تعلم علم اليقين أنك برىء.

فلماذا يكتبون هكذا والعناوين المثيرة لصالح من؟

يشوهون سمعة الناس، يدينون الأبرياء ويخربون البيوت، وتتساءل لماذا لا يمنعون النشر في مثل هذه التهم؟ حتى يصدر حكم القضاء تقول ذلك وأنت تتابع الصحف والمجلات على مكتب العقيد عبدالرحمن.

يدخل عليك جندى الحراسة بالفطار والشاى، تشكره رافضاً، يقول:

- دى أوامر عبدالرحمن بيه.

تعلو الأصوات بصخب، الصيحات تعلو، الأبواب تفتح، بالأقدام تدق الأرض، تؤدى التحية، يدخل عبدالرحمن بيه المكتب:

- صباح الخير يا جميل... فطرت..

- الحمد لله

تقترب من المكتب منكسراً ومهموماً وتسأل:

- مافيش جديد يا سيادة العقيد....

- يضحك، فيه بلاوى، البنت طلعت مصيبة، بانجو، وهيروين وشرايط آداب، ومنظمة سرية ومنشورات.

- ابسط يا عم ممكن تاخد إعدام بس.

تتمتم «إعدام» حاجة بسيطة، تعود أدراجك، ترى الرجل ينشغل بأعماله الكثيرة، تؤثر الا تزعجه بأسئلتك السخيفة

والماسخة، تؤمن الآن أن قضيتك بين أيد عادلة، يمسكها رجل يعرف الله ويتوق للحق وينتصر للإنسان.

تتكوم داخلك فى آخر الغرفة، تضع رأسك بين كفيك، تغلى رأسك، تفور حزمة الأسئلة، تنظر لساعتك، تتذكر الآن طابور الصباح، تقرأ الدهشة والفزع على ملامح الطالبات، تريحك نظرات ولاء، يؤثرك أبوها بتبنى قضيتك.. ترى ماذا يحكون الآن للطالبات؟

ترى كيف تحكم عليك الآن البنات، دعاء، نجوى، رانيا، ولاء؟

ترى هل يمكن أن تعود إلى مدرستك، طالباتك، وحصصك؟ حتى لو تطلع من هذه التهمة بريئاً؟ لقد عرفوا كيف يحطمونك؟ هل تكون قد وقعت حين لم تسمع لهم، رفضت الانضمام إليهم؟ ترفض تصرفات معظم المدرسين، وأساليبهم الحقيرة والسافلة فى سبيل الوصول للأغراض الدنيئة وغير السوية، ترفض تشجيع المدرسين للطالبات على الانحراف مستغلين ثقة الأهالى أو سفر وغياب الآباء.

ترفض ضغط وكيل المدرسة، يلح عليك للاشتراك فى المجموعة المدرسية أو تدفع النسبة «مائة جنيه» عن كل فصل وأنت تتصرف مع الطالبات، يستغل وكيل المدرسة تعليمات الوزارة أو الادارة التعليمية، يضغط بها على

المدرسين، يجعل القرارات الوزارية سيفا مسلطا على المدرسين، يلوح بها لكل مدرس تدفع أو نبلغ اسمك للوزارة ونوضب شوية تهم لك، إمبراطورية الدروس الخصوصية، تغمض عينك وتفتحها تجد نفسك على حدود السودان أو على حدود ليبيا، تدين هذه القرارات العشوائية، تؤكد لنفسك والله تجار المخدرات والسموم لا يتعاملون بهذه الطريقة! تنظر وتتحسر على حالك، خمسة وثلاثون عاما ومازلت بدون زواج، تعمل عشر سنوات كاملة ولا تستطيع توفير الطلبات الأساسية للزواج، تجلس الآن، سجينا، تتحرك بالأمر، وتتنفس بالأمر، وتدخل الحمام بالأمر.

هل تعرف كم تعانى من سنوات الذل والهوان والعار؟

تمشى فى الشوارع، تشير عليك الناس، هذا هو المجرم، سفاح البنات ماذا تفعل؟ تنتحر، تقطع شريان يدك، أو تبلع سم الفئران، تلقى بنفسك فى بحر النيل، تمسح العار عنك.

تهز رأسك، تنفض عن رأسك هذه الأفكار السوداء، تستيقظ من هذه السباحة الطويلة، تودع حبل أفكارك، تنتبه لنداء العقيد عبدالرحمن:

- يا جميل، تعال، ها نعمل مواجهة مع البنت

تدخل هناء، شاحبة، ذابلة، تتقدم بذل وانكسار، ويدخل صف من ذوى البدل السوداء، الملتهبة بنار المكوى، يحملون

الحقائب السوداء، ويختبئون وراء النظارات الشمسية:

. الأستاذ .... المحامى حاضر التحقيق

. الأستاذ .... المحامى حاضر التحقيق

. الأستاذ .... المحامى حاضر التحقيق

ينظر العقيد ناحية الباب، مندهشاً ومتعجباً:

. أهلا وسهلا، فيه حد كمان.....

ينظر إلى الأمين، قائلا:

. سجل يا معتز حضور الأساتذة مع المتهمة.

. لو سمحت يا أفندم هناء مجنى عليها وليست متهمة.

. اسمع يا أستاذ، ثبت من تفتيش شقة المجنى عليها أنها تحتوى على لفافات بانجو، معدة ومجهزة للبيع وتذاكر هيروين، وشرائط مخلة بالآداب ومنشورات لمنظمات سرية و.........

. يا افندم..........

. اسمع بس، صدرت الأوامر اليوم، بضم كل الأوراق والمحرزات واعتبارها قضية واحدة.

. فهمت يا أستاذ .. وكويس حضوركم علشان نقدر نتكلم.

. وثبت من فحص شرائط الفيديو أنها تدعو لممارسة

الرذيلة، وتحتوى على صور للسادة أمين وخالد وإمام وآخرين، وهم يمارسون الرذيلة مع بعض البنات، الجارى تحديد شخصياتهم فى شقة المتهمة، وثبت من الشرايط أيضا أن المتهمة هناء تقدم للمتهمين بعض اللفافات، يعتقد أنها لفافات البانجو، وبناء على ذلك تضاف إلى التهم السابقة تهمة تشجيع الرذيلة، وتسهيلها للراغبين بتوفير المكان الآمن.

دقات على الباب، نقيب يدخل، يؤدى التحية مهيبا يسلم ظرفاً:

- تقرير الطبيب الشرعى يا أفندم:

- شكراً جه فى وقته تماما.

يفتح التقرير، يقرأ السطور، تتابعه بقلق، تعلو أنفاسك، تلهج، يتلون وجهك، تشاهد الفرح على ملامح العقيد، وتبلع ريقك، تهدأ.

- وثبت من التقرير الشرعى أن الآنسة هناء ليست عذراء منذ زمن بعيد وذلك ينفى تهمة الاغتصاب وهتك العرض.

- وثبت أيضا من التقرير الشرعى أن الآنسة هناء غير حامل..

- يشير بيده اكتب يا معتزا

ـ وبناء عليه تضاف إلى المتهمة تهمة السب والقذف والتشهير فى حق الأستاذ جميل وتهمة البلاغ الكاذب «يلتفت إليها منتصرا».

ـ أيوه يا هناء هل مازلت مصممة على اتهامك للأستاذ جميل باغتصابك؟

يعتدل الأستاذ الكبير، يجفف عرقه، يبلع ريقه، يضبط رابطة عنقه، يحكم النظارة على عينيه:

ـ لو سمحت يا افندم ممكن نتكلم مع الموكلة والأستاذ جميل بعيداً عن محضر التحقيق.

ـ ما عنديش مانع...

تقف غاضبا ومنفعلاً، وعيناك تقدح لهيبا:

ـ لو سمحت يا سيادة العقيد أرجو أن تسجل فى محضر التحقيق أنى أرفض الكلام مع الأساتذة المحامين، ومتمسك بحقى، أن يأخذ التحقيق مجراه وأحتفظ بحقى فى رفع قضية ضد المتهمة لرد شرفى.

ـ وأسجل كمان أنى تلقيت مكالمة تهديد من طرف المتهمة، أعتبرها تهديداً ضد حياتى، لذلك أرغب فى وضع تليفونى تحت المراقبة.

كتبت يا معتز ـ يقول العقيد ـ ويضيف:

- هذا حقك علينا يا أستاذ، وحق كل الشرفاء فى هذا الوطن.

يتمم العقيد المحضر مع كل الأطراف ساعات طويلة، ثم يقرر:

- يعرض المتهمون على سراى النيابة فى حراسة مشددة.. «يلتفت للنقيب أسامة موصيا».

- يراعى عدم اقتراب الصحفيين والمصورين من شخص الأستاذ جميل.

تخرج هناء والمحامون، يغلق الباب، تواجه العقيد عبدالرحمن تتقدم إليه تعانقه، تبكى، يواسيك، يهنئك قائلا:

- صدقنى يا جميل، لم تهتز ثقتى فيك أبدا ....

تحمد الله دائما وتؤكد كلامه:

- وهذا يكفينى!

7

يوميات مدرسة البنات

يوم الخروج

كان قلبي الذي نسجته الجروح
كان قلبي الذي لعنته الشروح
يرقد ـ الآن ـ فوق بقايا المدينة
وردة من عطن
ـ هادئا ـ
بعد أن قال "لا" للسفينة
وأحب الوطن

(أمل دنقل)

ينزف داخلك ضيقا وكمداً، تختنق من طول الانتظار، تجر قدميك إلى الغرف المقبضة، تؤلمك نظرات الشك والريبة، تحكى وتعيد وتقسم أنك تقول الحقيقة، كل الحقيقة..

هل يطول الوقت؟ كم تستمر هذه المهزلة؟

فى سراى النيابة يتم الإفراج عنك، تلفت نظر السيد وكيل النيابة، أنه قد صدر اليوم قرار بوقفك عن العمل، قرأته فى الجرائد الصباحية، يكمل وكيل النيابة «مع عودتك للعمل».

تقرر أيضاً استمرار حبس باقى المتهمين خمسة عشر يوماً على ذمة التحقيق.

وتكلف المباحث بالقبض على باقى أعضاء الشبكة، بعد تحديد هويتهم.

يقابلك العقيد عبدالرحمن فى ردهات سراى النيابة، وأنت تستكمل بقية إجراءات الإفراج، يسلم عليك بحرارة، تعانقه بعينيك المبللتين بالدموع، يداعبك فرحا:

- إيه ياجميل، شد حيلك يا رجل، السجن للجدعان «مقلداً فريد شوقى»، يهمس للأمين يكلمه ثم يعلو صوته يخاطبك:

- هيا بنا، الأمين هيخلص باقى الإجراءات..

تنزل درجات السلم ثقيلاً، مهموماً كأنك عشت ألف عام فى السجن، تلفحك النسمات الباردة، تفتح صدرك تستنشق الهواء الحر، يعلو صدرك بهواء الشارع، تطوح يديك، رجليك، تحاول التأكد أنك حر، بلا حراسة، تسأل نفسك:

تجلس فى المقعد الخلفى بجوار العقيد عبدالرحمن، يشير لسائقه:

- على البيت يا ابنى!

يضربك على رجلك كأنه يوقظك:

- إيه يا جميل، «مداعباً ومقلداً محمود المليجى» كفارة يا معلم!

فى الطريق تحكى بشاعة الإحساس بالظلم، تزوير الحقيقة، وتتساءل:

- لماذا كل هذا الحقد؟

تسأل وتجيب والرجل يحترم عذاباتك، ينصت إليك، يشد على يدك:

- ولا يهمك سوف تعود غداً لمدرستك، تطول قامتك مثل نخلة «ضاحكا ولاء تنقل الكلام ده عنك» - تهمس وتخشى أن يسمعك أحد، ولاء، تلمع عيناك بالبريق الآسر، تشعر بالأمن معها، تشعر بالألفة، تسأل عنك، تأتى إليك فى حجرة المدرسين، تلح عليها ماذا تريدين؟

ـ تجيب، فقط جئت للاطمئنان والسؤال عنكم.

ـ تبتسم وتردد لنفسك: «وكلانا فى الصمت سواء».

ـ تفضل يا أستاذ جميل!

تتلفت حواليك.. تجيب بلهفة، فين يا أفندم:

ـ البيت يا أستاذ جميل...

تعتذر بأدب، تقسم له، تؤكد، تلح:

ـ حضرتك، القسم، المديرية، النيابة، ضرورى آخذ حمام، اغير ملابسى.

ـ آمراً السائق: وصل يا ابنى الأستاذ للبيت وانتظره..

ـ ترد بسرعة:

الله يخليك خلصنى من سيارات الشرطة، ها أموت، التاكسى أفضل.

ـ «يضحك عاليا»، خلاص يا ابنى وصله وتعال.

تنزل على ناصية شارعك، تشكر السائق، تضرب الأرض بقدميك، تنظر يمينا ويساراً، تتأمل الناس، المنازل، الصبية يلعبون بالكرة، تنفض رأسك، تغمض عينيك، تتحسس المفاتيح وحافظة النقود، تدخل العمارة التى تسكن فيها، تدير المفتاح فى باب شقتك، تحمد الله إنك تعيش وحيداً، ولا أحد يعرفك فى هذا الحى.

تغتسل، تبقى طويلا، طويلا تحت دش الحمام، والماء السخن يدغدغ تفاصيل الجسد المجهد، تغمض عينيك، تستقبل فيضان قطرات الماء على أم رأسك، تنتهى سريعاً تحت إلحاح جرس الهاتف:

- تخرج، والماء يقطر منك، يصنع خيطاً رفيعا، تدعك رأسك بالمنشفة، ترفع السماعة:

- السلام عليكم..

- حمداً لله على سلامتك يا أستاذ..

- شكرا يا ولاء، شكراً..

- طبعاً أنا أول بنت أقول لك ألف سلامة.. احنا فى انتظارك..

- شكراً.. شكراً يا ولاء.. حاضر، حاضر.

- أنا بلغت كل البنات، من ساعة وصول بأبا للبيت.

- تأكل ما تيسر لك، تشتاق لكوب شاى ثقيل، هكذا علمتك أمك:

- «كل ما تشعر بالصداع، اعمل شاى ثقيل، يا ولدى الشاى الثقيل مسمار الرأس».

تحمد الله، ترتدى الجاكت الجديد، تحكم رابطة العنق، تنثر رذاذ العطر، تسرى القشعريرة، يلسعك جلد وجهك،

وأثر العطر بعد الحلاقة، تنزل الشارع، تشير للتاكسى، فى منتصف الطريق وأمام الحلوانى، ينتظرك التاكسى، تشترى علبة حلوى، من نافذة التاكسى، تنظر للنيل ساعة الغروب، تردد:

- يا وطن الأحبة، كم أعشقك!

تنط الفرحة من عينى ولاء، تستقبلك على درجات السلم، ترحب بك، تمسك يدك، تضغط عليها، تشدك، تنظر إليك طويلا، تلمع العيون، تتمنى أن تأخذها فى حضنك، تقبلها، تقبلك، تسامح بها غدر الزمن وعذابات البارحة، تطول وقفتك على السلم، تعيش الحلم الجميل، ثم تهز راسك تضحك:

- اتفضلى يا ولاء، امسكى!

تدخل البيت الكريم، تجلس، تشعر بالدفء، تحس بالراحة، تشم رائحة أمك، أبيك، أهلك، ناسك، ثلاث سنوات، هنا لم تشعر أنك ضيف، ترحب بك أم ولاء، والصغير محمد، يهل عليك العقيد عبدالرحمن، تنهض لتحيته، تشكره على وقوفه بجانبك، تأسف على كل هذا القلق، يشير إليك أن هذا الكلام عيب يقول:

- اتفضل، ها نموت من الجوع..

تشرب الشاى، يخبرك العقيد:

- عرفت إن المديرة انتقلت.

تهز رأسك ضاحكا:

- لا والله فى النيابة ما حدش قالى!

- تقريبا الإدارة كلها اتغيرت.

- اتفضل قرار الإفراج عنك وعودتك للمدرسة.

- الصبح من بدرى تروح مدرستك.

- وبعدين نشوف التحقيقات، ونتابعها..

- وطبعاً من حقك ترفع قضية رد شرف..

- أكيد، أحاول أكلم محامى..

- حقك، لكن، شوية وقت لحد التحقيق ما ينتهى.

تعود للمنزل، جرس الهاتف يتواصل ترد، تشكر دعاء، رانيا، هبه، يعود الصفاء يرسم ملامح وجهك، تنتشى بحرارة الكلمات، فيض القلوب، كلمات الحب، والاعجاب، الانتصار للحق، للشرف، للإنسانية.

يتصل بك الأستاذ حسن رئيس لجنة العلاقات الإنسانية باتحاد الكتاب، مستفسراً ولائما ومؤكداً:

- لماذا لم تتصل بنا؟ لماذا لم تخبرنا؟

- الاتحاد يعمل ١٨ ساعة

- هل التحقيق انتهى؟

- اللجنة القانونية بالاتحاد يمكنها أن تتولى الدفاع عنك..

- هذا حقك علينا..

تشكره، وتخبره، أن قرار الإفراج عنك وعودتك للعمل فى جيبك، المشاكل فى طريقها للحل

يؤكد الأستاذ حسن:

- محامى اتحاد الكتاب يمكنه أن يرفع قضية رد شرف، حقك..

يؤكد لك فى ثبات ورجولة:

- لا تقلق، اتصل بى طوال الـ٢٤ ساعة، خذ تليفون بيتى.

- تشكره، كل الشكر!

يفيض الهاتف بحب الناس الشرفاء، المهندس/ ......، الأستاذ/ ....، أم دعاء، عم محمد عامل المدرسة، وناس كثيرون لا تعرفهم ولكنهم يعرفون الحق.

تتصل لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان، تسأل، تستفسر، تدين، تفضح العملاء، يؤكد المتحدث:

- من فضلك، اتصل بنا فى هذا الرقم..... عند حدوث أية مشكلة...

يهاتفك مسئول لجنة الحريات بنقابة الصحفيين:

- ماذا حدث؟

- نحن معك، نتبنى قضيتك، ندافع عنك..

يؤكد لك رئيس لجنة الحريات بنقابة المحامين أنه بعث لك المحامى إلى سراى النيابة، لكنه وصل متأخراً، ويقسم:

- اطمئن، سوف نرفع لك قضية رد شرف ونتولى الدفاع عنك..

- لا تقلق، تماسك، سوف نثير قضيتك على الصفحة الأولى من كل الصحف!

- تأكد أنهم فشلوا، ولن يفلحوا فى اختراق صفوف المثقفين.

فى الصباح المدرسى، تفيض المشاعر، تتدفق الأحاسيس نحوك، تحوطك البنات، تزعرد هذه، تغنى تلك، خلفك تنشد البنات:

- سالمة، يا سلامة،....

يستقبلك المدير الجديد، بترحاب وود، يشد على يدك:

- براءتك يا أستاذ، انتصار للحق والشرفاء.

فى الطابور، تلتهب الأيدى بالتصفيق، والكلمات الصادقة والمليئة بالحب من مدير المدرسة:

ـ ولتثق يا أستاذ جميل أننا كلنا معك، إننا ننتصر لك اليوم، إنما ننتصر للحق، للعدل، لشرف المدرس النبيل.

يهل العقيد عبدالرحمن فى زيه الرسمى، يهمس لمدير المدرسة، يمسك ميكروفون الإذاعة المدرسية:

ـ باسم أولياء أمور الطالبات، أؤكد لكم، أننى لم تهتز ثقتى أبداً بهذا الرجل، طوال ساعات المحنة، لأننى اقتربت منه منذ ثلاث سنوات، وخبرت معدنه الأصيل، إن براءة الأستاذ جميل انتصار للطالبات، الأزهار البريئة التى تتفتح على أمل مشرق، ونعاهدك يا أستاذ جميل أننا سوف نضرب بيد من حديد على كل المرتشين والمفسدين، أصاحب النفوس المريضة والذمم الخربة.

تلتهب الأيدى بالتصفيق، تفيض عيناك بالدمع، يزداد التصفيق.

فى حجرة مدير المدرسة، يلتف حولك المدرسون والمدرسات، تجلس بجانب العقيد عبدالرحمن.

يقول مخاطبا المدير:

ـ احنا طلمنا أمر امبارح بعودة الأستاذ للمدرسة.

ـ اطمئن يا افندم، امبارح كلمنى مدير الإدارة التعليمية بعد اتصال السيد وكيل الوزارة به وأخبرنى بعودة الأستاذ جميل للمدرسة واستلامه لجدوله.

- طيب الحمد لله.

تغمرك مشاعر كل المحيطين بك بالحب والوفاء، تظل طوال اليوم ترد التحيات والتهانى، تومىء لهذه، تشكر تلك، تنهض تعانق الزملاء، تعيش مظاهرة حب، تستقبلك الطالبات فى ٣/٢، استقبال الفاتحين، الزغاريد ترن بين جدران الفصول، تضحك مشرفات الأدوار، تدوى عاصفة التصفيق تحية لك، تدخل الفصل فى تواضع وعظمة «أحمد مظهر فى الناصر صلاح الدين» فهل تهدأ نفسك قليلاً؟

يدق جرس الفسحة، تمتلىء المدرسة بالزائرين، من الوزارة، من الإدارة، سيارة التصوير الخارجى للتليفزيون، صحفيون، مذيعون، تتحدث عن ظروف المحنة، التلميح، التصريح، إغراءات جمعية الحب والسلام، العروض المشبوهة، الدفع بسخاء، عرض شقة تمليك والسيارة الحديثة، محاولة الاعتذار، التهديد، مكالمة نص الليل.

تحكى تتحدث، يجف حلقك، تشرب قهوتك، تستريح تعتذر عن الكلام، يحاولون أن يحضروا إلى بيتك، تحتد:

- غدا هنا «مؤكدا» بيتى هذه المدرسة.

«محدثا نفسك»:

- كما شهدوا الإهانة، ساعات المحنة فليشاهدوا لحظات الانتصار، تمر لحظات السعادة سريعاً، يهدأ فيضان

الحناجر والقلوب، تمضى الحياة، بسننها الطبيعية، الحصص المدرسية تأكل اليوم خلف اليوم والعجلة تدور، رتيبة، بطيئة.

تتصدر كلماتك الصحف والمجلات بعناوين بارزة:

«جمعية الحب والسلام تفشل فى اختراق صفوف المثقفين».

«أزمة المدرس المصرى مع جمعية التطبيع»

«الشاعر يرفض الشقة التمليك والسيارة الشبح والدولارات المشبوهة»

تقرأ، تراجع الكلمات، تتعجب متسائلاً:

- لم أقل هذه الجملة، لم أقصد هذا المعنى!

حذفوا نصف الكلام.. أصبحت الجمل مبتورة.. المعانى مشوهة، تظل تضرب كفا بكف، ولا أحد يجيب ولا أحد يسمع..

تنام بعد منتصف الليل، مهموما، كابيا، صموتا، تطبق عليك جدران شقتك العارية والخاوية، تؤلمك الوحدة، يؤرقك فراغ واتساع سرير غرفتك البارد، تغمس رأسك فى بئر أفكارك وتنام، مكدوداً، حزيناً متعبا.

تقلق فزعاً على جرس الهاتف، فى الثالثة صباحاً، تنظر

حواليك، تفيق من نومك، تعى نفسك وتتساءل من طارق الليل؟

ترفع السماعة:

السلام عليكم...

ـ لن تصبح بطلا على حسابنا..

ـ مين معايا؟

ـ إنت ولا حاجة، إنت صفر على الشمال..

ـ مين اللى بيتكلم..

ـ سوف ننسفك نسفا..

ـ إنت قليل الأدب..

ـ وإنت حشرة حقيرة، تسحقها النعال..

تفزع، تغلق السماعة، تقلق، يطير النوم من عينيك، ترى من يجرؤ على هذا الكلام؟

هل ترفع السماعة وتخبر العقيد عبدالرحمن؟

تتراجع، تتردد، تنظر للساعة الصغيرة بجوار سريرك:

ـ الثالثة والنصف.

يدق الباب، تنهض، تتراجع، تنظر من العين السحرية، لا يوجد أحد، تفتح الباب تنظر على درجات السلم لأعلى

ولأسفل، لا أحد تجرى ناحية البلكونة، تنظر للشارع يمينا ويساراً، الشارع يغط فى بحر صمته، والسكون يرمح بطول الشارع، تسأل نفسك:

- ما هذا؟ وما الذى ألمّ بك؟

- أهذه تخيلات؟

مؤكداً لنفسك:

- لقد سمعت جرس الباب.

تعود لسريرك، وصوت فيروز والأغنية التى تعشقها تتردد:

«سكن الليل، وفى ثوب السكون تختبىء الأحلام....»

تتمنى أن يسكن الليل، وتهدأ نفسك، يرتاح بالك، تعيش فى هدوء كما يعيش الناس وتقسم:

- لم أظلم أحداً، لم أسرق أحداً، ولم ألوث ماء النيل.

- فلماذا كل هذا الحقد والعداء؟

تجلس فى سريرك، تتخبط فى حزمة الأسئلة التى تشتعل داخل رأسك، تتقد نارها، يفور رأسك بالصداع الليلى، تحترق كمداً وحزناً، ولا أحد بجوارك، تشكو له، يضمد جراحك، يوقف نزيفك، تلعن هناء، بنت الأفاعى، ترى ماذا يريدون الآن؟

تظل هكذا، تترى أمام عينيك صورة ما حدث، تهل تباشير الصباح، تفتح نافذة غرفتك المقبضة طوال الليل، تتنفس الهواء البارد، يمتلىء صدرك، تشعر بقليل من الراحة.

تتوضأ، تركع وتسجد لله، وتسأله بإلحاح أن يحفظك من شياطين الجن والإنس، تلوك كسرة خبز مع كوب الشاى وتخرج.

فى الصباح المدرسى تراجع الاذاعة المدرسية تضحك مع ولاء، تبتسم لدعاء، تخطف رانيا الجريدة الصباحية وتتعمد أن تقرأ حظك اليوم، تعرف الملعونة أنها تشاركك برج العذراء، تقول ضاحكة وهى تنظر ناحيتك بطرف عينها:

- كن حذراً ولا تكن مفرطاً فى مشاعرك تجاه الآخرين.

تسعى للمدير فى مكتبه، تطلب السماح بالذهاب إلى مديرية الأمن، تتسع عين الرجل دهشة، يسألك:

- فيه حاجة جديدة يا أستاذ؟

- لا اطمئن، توابع القضية..

- مع السلامة..

فى الطريق إلى الشارع، تكاد تسمع من ينادى عليك، أو يشتمك، لا تدرى، كأنه صوت بعيد، تقف فى الشارع فى

انتظار الأتوبيس، يأتيك الصوت قوياً باسمك وبصريح العبارة:

- يا جميل يا.... «ويلعن فرج أمك»....

- يا جميل... ياحشرة..

تنظر إلى البنايات العالية الزجاجية، والعمارات، والشبابيك المغلقة.

- ترى من وراء هذه النداءات؟

ترخى السمع، تنظر تدقق، لا أحد، تقلق، تضطرب، تعلو أنفاس صدرك، ترتسم ملامحك حزناً، تشير للتاكسى، يقف، تلقى بنفسك فى المقعد الخلفى، تجلس مهموماً، قلقاً، صموتا، يسألك السائق على فين يا أستاذ:

- مديرية الأمن يا أسطى.

يتمتم وهو ينظر ناحيتك فاحصا ومدققا:

- يا فتاح، ياعليم.

تزدحم الشوارع بالناس، بالسيارات، بالأتوبيسات، تفتح شباك التاكسى، عله يهبك الهواء الحر، تختنق بالازدحام، تمرق سيارة صغيرة بجوارك، يفزعك اقترابها منك، تسمع نفس الصوت يملأ أذنك:

- يا جميل يا ابن......

ـ لا زم أشوه وشك بمية النار.. «تحمد ربك أن السائق لا يعرف اسمك ولا اسم أمك» تتحرك يدك سريعا، تحكم غلق زجاج النافذة تتكوم على نفسك تتكمش داخلك خائفا ومرعوبا.

يلاحظ السائق يسألك:

ـ فيه حاجة يا أستاذ:

ـ لأ، بس من فضلك بسرعة شوية...

فى الغرفة الواسعة والمقبضة، والتى شهدت ليلة المهزلة، تقف لتحية العقيد عبدالرحمن، يقف الرجل لتحيتك، يشد على يدك قائلا:

ـ اجلس، اجلس يا أستاذ.....

تنتظر أن يفرغ من أعماله، يراقبك، يقرأ سطور الخوف فى عينيك، يلاحظ حركة عينيك الزائغتين، ينتهى من حديث الهاتف يسألك..

تتردد قائلا:

ـ والله يا افندم مش عارف أبدأ من فين؟

ـ خذ راحتك واتكلم، وأنا سامع..

بالليل، امبارح الساعة تلاتة صباحاً، جت مكالمة، زى اللى جت قبل الحادثة، ونفس التهديد، والعجيب أننى أسمع نفس

الصوت تقريباً فى الشارع، من سيارات سوداء، من العمارات العالية، يندهش العقيد وينظر إليك متفحصا، تخبره:

ـ صدقنى يا أفندم، وثق فى كلامى.

ـ نفس الصوت..

ـ نعم نفس الصوت.. ونفس جملة الشتيمة تقريبا.

ـ دول مافيا بقى.. وماشيين وراك كمان.

ـ ما تخافش، تليفونك خلاص تحت المراقبة من النهاردة.

ـ خذ كذا رقم تليفون للضرورة، وخد كمان رقم المحمول اتصل فى أى وقت.

تخرج من مديرية الأمن، فزعاً ومرعوباً تردد.

ـ نحن فى حاجة إلى ألف عبدالرحمن!!

تمشى على كورنيش النيل، تصافح عيناك صفحة المياه الصافية، تطير روحك، تحلق مثل عصفور الماء، يشدك اللون الأخضر فى المشاتل الصغيرة التى تسكن طرح النهر، تقرأ إعلاناً صغيراً عن تأجير أحد المشاتل والقريب من المدرسة، تتوقف، تعيد القراءة، تلمع الفكرة فى رأسك، ولماذا لا؟

وتحدث نفسك:

ـ عامل أو اثنين، وبيع الأزهار عملية تجارية ومربحة جداً.

تدخل المشتل، تسأل، تتفاوض، تفاصل، تعاين المكان، هدوء المكان مدهش، شاعرية الجلوس لتأمل النهر فوق الوصف، تتفق، تودعه على أمل العودة بعد ساعتين، تعود، تنهى الاجراءات.

بعد عناء اليوم الدراسى، تجد نفسك تمشى على النيل، تصل إلى سمعك نفس الأصوات البذيئة، تطاردك، تفزعك، تقف، تراقب، تنظر، تدقق، ولا أحد، تحدث نفسك وأنت تنزل سلم المشتل:

- ياأولاد الأفاعى....

تسلم على العامل، ذلك الذى طلبت منه الاستمرار فى العمل وبنفس المرتب، أن يصنع لك شايا ثقيلاً، تذهب إلى الركن الجميل، تجهز لنفسك مكاناً للجلوس، تسند ظهرك، تتأمل جريان هذا النهر بالحب والصفاء، والسلام منذ آلاف السنين وتظل تسأل نفسك:

- نشرب من ماء واحد، ونأكل من طعام واحد، ونتنفس من هواء واحد، فلماذا كل هذا الحقد؟

قبل أن يؤذن العصر، تلمع فكرة فى عينيك، لماذا لا تنفذها؟

تنادى على العامل، تأمره أن يذهب لمحل الفراشة، يأتى بأنوار كثيرة، اليوم الافتتاح الكبير.

وتضيف:

عليك أن تجهز جميع الأزهار، وتقف، اليوم الخميس والمترددون على الكورنيش كثيرون، وعليك أن تهدى الأزهار للعابرين.. تجلس بعيدا تراقب، تسعد لفرح الناس، تصافح عيناك صفحة النيل، والماء يجرى بالحب، تهدأ نفسك وتستريح، تقوى وتشتد بهم، أهلك.

فى الطريق للبيت يفزعك الصوت، تفزع، يراقبونك، يطاردونك، يلعنون أمك فى الهاتف، هل تنهار، ثلاث ليال لم تعرف للنوم طعما، تلمس رأسك، تضغط عليها بكلتا يديك، قبل أن تنفجر، تخرج من البيت، تتحدى، تقصد العقيد عبدالرحمن، تردد لنفسك:

نحتاج إلى ألف ألف عبدالرحمن..

يصرخ داخلك، تنتفض ثائراً، الكلمات قذائف، والشتائم أوسمة وأزهار تتساقط بطول دربك الطويل، بقوة تردد قصيدة «لاتصالح مع أمل دنقل»:

«لا تصالح.. ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ..

والرجال التى ملأتها الشروخ..

هؤلاء الذين يحبون طعم الثريد..

وامتطاء العبيد...

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم
وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ
لا تصالح،
فليس سوى أن تريد..
أنت فارس هذا الزمن الوحيد
وسواك المسوخ»

الجيزاوى ـ القاهرة
ديسمبر ١٩٩٧م ـ ديسمبر ١٩٩٨م

الفارس وزمن المتناقضات
فى
«يوميات مدرس البنات»

لا تصالح

فليس سوى ان تريد

انت فارس هذا الزمن الوحيد.

بهذه الأبيات الشعرية، التى يتفوّه بها الأستاذ جميل، يختتم القاص خليل الجيزاوى باكورة نتاجه الروائى «يوميات مدرس البنات»، والتى تعلن فى الحال عن مولد روائى جديد، سوف تكون له صولاته وجولاته، فى ساحة ذلك الفن الأثير. وليس هذا مجرد تخمين أو استقراء لما سيكون، إذا يستحيل التنبؤ بالمجهول. وإنما هو استنتاج منطقى، ومِن ثم تأويل لما هو كائن بالفعل، فى العمل الذى بين أيدينا، سواء من ناحية تشكيلاته الجمالية او مضمونه. ولا أدل على ذلك من جعل فكر الأستاذ جميل، مدرس اللغة العربية، والشاعر، والشخصية المحورية هنا، يتناص مع فكر شاعر

عُرف بروح التحدّى، وعزيمة الصمود، وقت الشدائد والأزمات، ألا وهو الشاعر أمل دنقل، الذى لم يرض أبداً بالذلّ أو الإنكسار، وهذه وسيلة فنية تكفى بمفردها - إن شئنا - للكشف عن المستور فى متن الرواية، والذى أزعم أنه ينطوى، فى المقام الأول، على صدام الطهر النبل والبقاء بالسفور والزيف والدناءة، فى زمن من المتناقضات، على مختلف أشكالها وألوانها ومناحيها، زمن لا مكان فيه إلا لمن حمل سيفاً، وصار فارساً مغواراً، ومقاتلاً جسوراً، ذا طبيعة نضالية.

ولكن التناص مع فكر أمل دنقل ليس كل ما هناك، إذ يتناص موقف الأستاذ جميل أيضاً مع موقف الشعراء الرومانسيين بعامة، القدامى منهم والمحدثين، وعلى رأسهم الشاعر ناعم الصوت، رخيم الإيقاع، إبراهيم ناجى، الذى كان من أبرز جماعة «أبوللو». ولا غرابة فى ذلك، فالأستاذ جميل، كما يصوره الجيزاوى، مولع بشرح النصوص الشعرية التى تكشف عن العواطف النبيلة الطاهرة، فيما يُعرف بتجربة العشق العذرى، أو كما عرفها الغرب بالحب الأفلاطونى، الذى يتسامى بالمشاعر الإنسانية، ويرقى بأحاسيس البشر، مما يضفى على شخصية الأستاذ جميل - إلى جانب روح التحدى الرابضة بداخله - مسحة رومانسية، تجعل اصطدامه بالواقع الحسى الفج أمراً خطيراً، يشده -

رغماً عنه ـ إلى جب عميق، إلى نفق مظلم، أو هوّة سحيقة، لا يخرج منها، فى نهاية المطاف، وبأقل خسائر ممكنة، إلا بشق الأنفس، بعد تجربة مريرة من المعاناة والألم.

ولعل هذه التجربة كانت تسيطر على فكر الجيزاوى تماماً، وتشغل مساحة كبيرة من خياله، حتى قبل البدء فى كتابة الرواية. وهذا ما يشى به التصدير، حيث راح يقول فيما أسماه بمفتتح العمل، مستشهداً بشاعر مقاتل آخر، وهو شاعر المقاومة، الذى آمن إيمان اليقين بقضية الوطن، الشاعر الفلسطينى محمود درويش:

هم أوقعونى فى الجب

واتهموا الذئب

والذئب أرحم من إخوتى..

الإشارة القرآنية هنا جلية، وسياق المعنى واضح. فالشاعر ينعى عصراً تفككت فيه وشائج الحب، وتقطعت صلات الرحم، واستشرت مظاهر الجحود والكراهية. وهذا ما تؤكده نغمة النهاية، أو إن جاز لى أن أقول، مختتم الرواية، حيث يتعجب الأستاذ جميل مما آل إليه حال الزمن: «نشرب من ماء واحد، ونأكل من طعام واحد، ونتنفس من هواء واحد. فلماذا كل هذا الحقد؟».

ربما حمل هذا التساؤل البرىء بين ثناياه المعنى الكلى

للرواية، والذى يحاول الجيزاوى أن يسوقه إلينا عبر فصولها السبعة، والتى تأتى فى شكل يوميات تحرّرها خمس طالبات - على الأقل - فى مدرسة ثانوية للبنات: نجوى، ودعاء، ورانيا، وهناء، وولاء، تسلم كل واحدة منهن الرواية للأخرى بالتتابع، ولكن من خلال الرواى الأستاذ جميل الذى يفتتح العمل ويختتمه. ما يلفت النظر هنا تشكيلان جماليان: أولهما أن الجيزاوى اختار لروايته سبعة فصول تحديداً، أى بعدد أيام الأسبوع، كمّن أراد أن يختزل عمر الرواية، ويكثّف أحداثها، فى أيام الأسبوع السبعة. وثانيهما أن الراوى الحاضر أو المتحدّث قد أدرك تماما محدودية علمه، لاسيما فيما يتعلق بحيوات الأخريات، وشئونهن الخاصة، فاختار أن يدع كلامهن تسرد الأحداث طرفها، بطريقتها الخاصة، وبما توافر لديها من علم يقين، مما أضفى مصداقية على سرد الأحداث، بل وموضوعية يفتقر إليهما أحياناً هذا اللون من القص.

فالرواية كما يدلّل عنوانها تقوم على تسجيل اليوميات فيما يشبه السجّل الشخصى، أو رصد الأحداث، حدثاً بحدث، ومن وجهات نظر مختلفة، وإن كانت متقاربة لتناظر المرحلة السنية للطالبات، وكذا المزاج والحالة النفسية لكل منهن، فيما يُعرف برواية السيرة أو الرواية البيوجرافية عند الغرب. ولكن ثمة اختلافات جوهرية تجعل رواية الجيزاوى

تنويعة فريدة على ذلك الجنس الروائى. فاليوميات لا تصف نفس الأحداث، وإنما تسرد تفاصيل وقوعها بطريقة تدّريجية، بمعنى أنها تكمل بعضها بعضاً، فتتبلور معالم الحبكة الروائية، وإن لم يحدث ذلك تقليدياً، وفقاً لترتيب زمنى منطقى. إذ يظل القارىء يكتشف تفاصيلاً فى اليوميات المتأخرة، تلقى بظلالها عكسياً على أحداث اليوميات السابقة، مما يُثرى الموقف الروائى، ويعمّق التأثير. فالمفاجآت التى خبأها الراوى فى عباءة يومياته تبعث على المتعة والإثارة، فى آن واحد، وتجعل القارىء مشدوداً طول الوقت إلى الحبكة الرئيسية.

وحبكة الرواية يمكن إيجازها باختصار شديد. مدرِّس للُّغة العربية اسمه جميل، حسن المظهر، رفيع الأخلاق، يعمل فى مدرسة ثانوية للبنات، حيث لا يكتفى بإلقاء الدروس فحسب، وإنما يشرف على النشاط الثقافى أيضاً، مما يجتذب إليه الطالبات الموهوبات. هنا يجد جميل نفسه محاصراً بعدد كبير منهن، حيث تحلم كل واحدة بالفوز به، خاصة وأنه أعزب، فى الخامسة والثلاثين من عمره، ويقوم بتشطيب شقة الزوجية. ليس هذا فقط، إذ أن جارته البدينة فوق سطح المنزل تحاصره أيضاً، وتود لو تتخذه زوجاً أمام هذه المغريات، صباحاً فى المدرسة، ومساءً فى المنزل، يعيش الأستاذ جميل وقتاً عصيباً، خاصة عندما

يخلو إلى نفسه، فى ليالى الشتاء الباردة. ولكنه يستعيذ بالله، ويتذكر دوماً تعليمات الوزارة الصارمة، بل ويضع نصب عينيه واجبه تجاه التقاليد والأعراف، وصورته كمعلم كاد أن يكون رسولاً، فيحتدم الصراع، ويتعذّب القلب، ويتأزم الموقف. هذا فى الوقت الذى يقع فيه المحظور لدى اختلاط زملائه بالطالبات، وفوحان رائحة الرذيلة فى أنحاء المدرسة، والتى تحاول هناء حسين، أكبر الطالبات فساداً وإفساداً، جره إليها، رغماً عنه، لدرجة أنها تهدده. وعندما لا يستجيب تلفّق له تهمة أخلاقية، ينجو منها بأعجوبة، ليعود إلى سابق عهده رمزاً للفضيلة والعفة.

عند تلك النقطة تكشف الرواية النقاب عن وجهها الجاد والخطير، الذى أخفته بستار سميك من خفّة الظل، انطوت عليها حكايات الفتيات الطائشات، بأحلام يقظتهن، وذلك عندما تدق ناقوس الخطر، محذرة من تردّى الأوضاع الاجتماعية، خارج محيط المدرسة، مما انعكس سلبياً داخل أسوارها فالفتيات تفتقرن إلى القدرة والمثل العليا فى حياتهن، لدى غياب الأب فى دول النفط، وخروج الأم للعمل، وانصراف الإخوة إلى ملاعب كرة القدم. غربة شديدة تعشنها بعضهن لدى وقوع الطلاق، وتفكّك الأسر، وتشتّت الأفراد، فكان التفافهن من حول الأستاذ جميل، الذى صار بؤرة الاهتمام بالنسبة لهن، فمنهن من وجدت فيه الوالد أو

الأخ الحنون، ومنهن من حلمت به صديقاً أو خليلاً، ومنهن من أحبته حباً عذرياً، وتمنته زوجاً، ذلك للخروج من أزماتهن الأسرية. واستفحل الأمر مع بعض منهن، فتناسين الأخلاق والفضائل، وتحولن عن الصراط المستقيم.

وهذا ما يوحى بالبعد السياسى للرواية. فعندما تفشل الأسرة فى أداء دورها تجاه تربية النشىء، وعندما تعجز المدرسة بالتالى عن أداء دورها تجاه تهذيبه وتثقيفه، فإن ذلك يتمخض حتماً عن جيل ضائع، تائه، لا أمل فيه، ولا رجاء منه، تستطيع الأيدى الخفيّة، فى الخارج قبل الداخل، أن تطوله بوسائل التغييب، وسبل الترغيب، وبالأفكار المسمومة، فتضرب بذلك صرح المجتمع من أساسه. لعل هذا ما دفع الأستاذ جميل فى نهاية الرواية، إلى ترديد ضرورة أن يتكاتل رجال الشرطة الشرفاء، مع رموز العلم، لمواجهة الخطر المحدق، رافعاً شعار هاملت شكسبير: «أن يكون، أن يعلن المواجهة، وإلا يكون أو يرضى بالخنوع، فليس هذا من شيم الأمراء النبلاء».

لقد استطاع خليل الجيزاوى أن يضمّن رسالته الأخلاقية، بين ثنايا الرواية، التى تخاطب الكبار قبل الشباب، والعقل قبل العاطفة، بل والفكر قبل الإحساس. ولكنه لم ينس فى غمرة حماسه، وغيرته على بنى جنسه، أنه أديب فى المقام الأول، وليس مصلحاً اجتماعياً، أى أن

مهمته الأولى هى أن يقدّم إبداعاً جميلاً، ذهنياً ووجدانياً، وهذا ما نجح فيه إلى حد بعيد، من خلال عناصر المتعة، والتشويق، الإثارة والترقب التى توافرت لروايته. فمرحباً به روائياً واعداً.

د. جمال عبدالناصر

استاذ الأدب الإنجليزى

كلية الآداب . جامعة القاهرة

الجيزة فى ٢٠٠٠/٦/١٧م

قالـوا عن الروايـــة

● الرواية جـيـدة تقـدم مـوضـوعـاً روائيـاً شـيـقـا، عـالم البنات المراهقـات، من جهة نظرهم ومن خلال تكنيك اليوميات، تتضح الشخوص اعتماداً على ضمير المتكلم الذى يعطى الفرصة للبوح أن يجول ويتحرك وينمو ولغة الكاتب متماسكة.

(الناقد.. أحمد عبدالرازق أبوالعلا)

● رواية تعلن فى الحـال عن مـولد روائى جـديد، يقـدم إبداعـاً جميلاً من خلال عناصر المتعة والتشويق والإثارة والترقب التى توافرت لراويته.

(أ.د. جمال عبدالناصر)

● هذه الرواية لكاتب متمرس قدير يعرف عناصر فنه ويجيد استخدام أدواته وهو وطنى يعيش أحداث أمتة ويحسن التعامل معها والإحساس بها وتأملها وإعادة صياغتها فى قالب أدبى متماسك.

(الروائى.. فؤاد قنديل)

● تتـمـيـز الرواية بجـمـال السـرد والأسلوب وتنوع المواقف والشخصيات والوصف الجيد للمكان بحيويته ومفرداته البشرية.

(الروائى.. محمد قطب)

● رواية جيدة تتميز بلغة شعرية مكثفة.

(الناقد.. محمد محمود عبدالرازق)

● لغة مكثفة موحية، الموضوع معاصر ونابض بالحيوية.

(الروائى.. نبيل عبدالحميد)

● عمل روائى جيد ومتميز يؤكد موهبة صاحبه وقدرته على بناء أحداثه وشخصياته فى السرد والحوار.

(أ. د. يسرى العزب)

المؤلف فى سطور..

- خليل الجيزاوى
- قاص روائى
- عضو اتحاد الكاتب
- عضو نادية القصة
- عضو أتيلييه القاهرة
- نشر أول قصة فى جريدة المساء «الحدود» ١٠/١٢/١٩٨٩م

الجوائز..

١ ـ جائزة نادى القصة فى مسابقة القصة القصيرة لعام ١٩٩٨ .

٢ ـ الجائزة الثانية فى مسابقة نادى القصة للرواية لعام ١٩٩٩ . عن رواية «يوميات مدرس البنات».

٣ ـ الجائزة الثانية فى مسابقة نادى القصة القصيرة لعام ١٩٩٩.

صدر له

١ ـ آلام صغيرة «مشترك» القصص الفائزة فى مسابقة نادى القصة لعام ١٩٩٨ . الكتاب الفضى «نادى القصة ـ دار زويل للنشر».

٢ ـ إغتيال مرشح نوبل «مشترك» القصص الفائزة فى مسابقة نادى القصة لعام ١٩٩٩م. الكتاب الفضى «نادى القصة ـ دار رويل للنشر».

٣ ـ يوميات مدرسة البنات ـ رواية ـ مدبولى الصغير ٢٠٠٠م.

قيد النشر

- نشيد الخلاص ـ قصص ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة

تحت الطبع

- أحلام الزمن الردىء (رواية)
- أغنية للحرب والسلام (رواية)
- أولاد الأفاعى (قصص)
- سيرة بنى صالح (رواية)

فهـــرس

جائزة أفضل رواية لعام ١٩٩٩م



يوميات مدرس البنات

- رواية جيدة تقدم موضوعا روائيا شيقا

الناقد / أحمد عبد الرازق أبو العلا

- رواية تعلن فى الحال عن مولد روائى جديد

أ.د / جمال عبد الناصر

- هذه الرواية لكاتب متمرس قدير يعرف عناصر فنه

الروائى / فؤاد قنديل

- تتميز الرواية بجمال السرد والأسلوب

الروائى / محمد قطب

- رواية جيدة تتميز بلغة شاعرية

الناقد / محمد محمود عبد الرازق

- لغة مكثفة موحيه، الموضوع معاصر، نابض بالحيوية

الروائى / نبيل عبد الحميد

- عمل روائى جيد، متميز يؤكد موهبة صاحبة

أ.د / يسرى العزب

